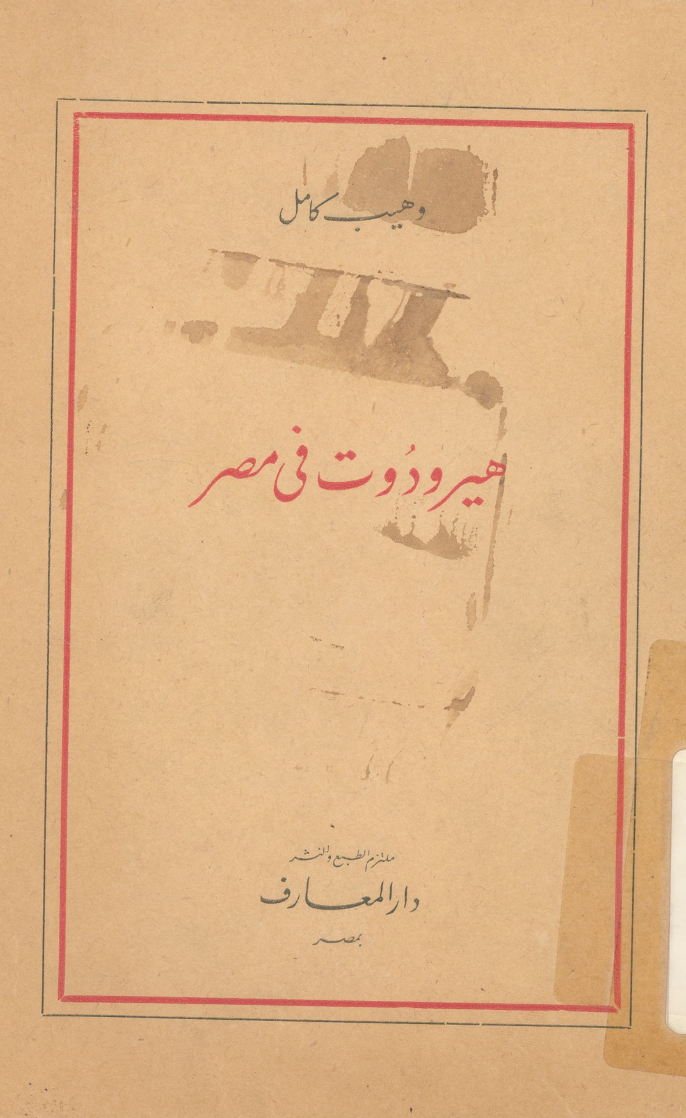


وهيب كامل

هيرودوت في مصر

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف

بمصر

هيرودوت في مصر

القرن الخامس قبل الميلاد

نقله من اليونانية

وهيب كامل

مدرس في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف

بمصر

المشتمـــــل

الرقم يشير إلى الفصل

١	غزو قمبيز لمصر
٢ — ١٣	وصف مصر
١٤	الزراعة فى مصر
١٥ — ١٨	حدود مصر
١٩ — ٣١	النيل
٣٢	داخلية ليبيا
٣٣ — ٣٤	مقارنة بين نهرى النيل والطونة
٣٥ — ٣٦	العادات المصرية
٣٧ — ٤٨	الطقوس الدينية
٤٩ — ٥٧	الصلات بين الدين المصرى والدين اليونانى
٥٨ — ٦٤	الأعياد المصرية
٦٥ — ٧٦	الحيوانات المقدسة فى مصر
٧٧ — ٨٤	الحياة اليومية فى مصر
٨٥ — ٩٠	الجنـائز

الرقم يشير إلى الفصل

٩١ عبادة پرسيوس

٩٣ — ٩٥ عادات سكان اقليم المستنقعات

٩٦ السفن المصرية

٩٧ اللاحة الداخلية فى وقت الفيضان

٩٩ — ١١١ مينا وخلفاؤه

١١٢ — ١٢٠ قصة هيلين

١٢١ — ١٢٢ رامبسينيتوس

١٢٣ تناسخ الأرواح

١٢٤ — ١٣٥ بناة الأهرام

١٣٦ — ١٤٣ الأحباش فى مصر

١٤٤ — ١٤٦ عهد الآلهة

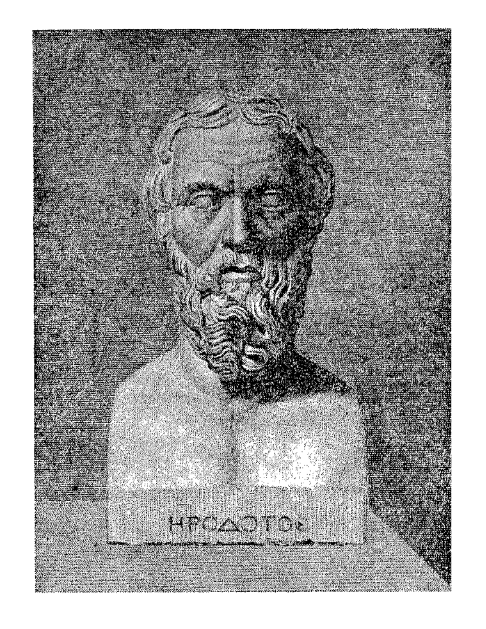
١٤٧ — ١٥٢ الآلهة الإثنى عشر

١٥٣ — ١٦٩ أسرة بسماتيك

٠٧١ قبر أوزوريس

١٧١ العقائد السرية المصرية

١٧٢ — ١٨٢ أمازيس



هیرودوت

مقدمة

هيرودوت

١ — حياته وفنه

لقد ضن التاريخ على أبى التاريخ بحفظ قصة حياته فى سجله الذى يوشك أن يسع كل شىء . فليس لدينا من الوثائق ما يتيح لنا أن نقطع برأى فى تاريخ مولده أو مماته أو حادثة من حوادث حياته . و إن الصورة الذهنية التى يتمثلها قراء التاريخ لهيرودوت مستخلصة من كتاب هيرودوت نفسه .

قال جيليوس فى كتابه « الليالى الآثينية » (١٥ ، ٣٣) إن هيرودوت ولد عام ٤٨٤ ق.م . ولكن جيليوس ليس حجة معتمدة فى إثبات التواريخ فلنأخذ بما قال فى حيطة وحذر . و يبدو من كتاب هيرودوت أن صاحبه قد شاهد بعض حوادث الحرب البيلوبونيزية (٤٣١ — ٤٠٤ ق.م) فى مرحلتها الأولى . و إذن فمن المرجح أن يكون هيردودت قد عاش بين الحرب الميدية (٥٠٠ — ٤٧٥ ق . م) التى دفعت بحضارة اليونان إلى ذروة المجد ، و بين الحرب البيلوبونيزية التى كادت تودى بهذه الحضارة . فهو إذن كان يتنفس فى العصر الذهبى من التاريخ اليونانى .

ولد هيرودوت فى مدينة هاليكارناسوس فى إقليم كارية فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى ، فإذا أخذنا بما قرره جيليوس من تاريخ مولده فقد ولد إذن من رعايا ملك الفرس . وتعلم فى وطنه فأتقن القراءة والكتابة والحساب . ثم عكف على الموسيقى ونهل من معين الشعر فورد منهل هوميروس واغترف منه كلفاً منهوماً ، وتذوق شعر سائر الشعراء . أما النثر ، ولم يكن قد بلغ قبله شأواً بعيداً ، فقد ألمّ به ونظر فيه .

ولم تكن الأحوال مستقرة فى هاليكارناسوس إذ لم تكن التقاليد الديموقراطية ثابتة الدعائم فيها ، فقام فيها طاغية يدعى ليجداموس اضطهد خصومه وتعسف فى إيذائهم ، وقتل فيمن قتل عم هيرودوت الشاعر پانياسيس . وأغلب الظن أنه نفى مؤرخنا وصادر أملاكه ، فهجر موطنه إلى جزيرة ساموس فيما يظهر . فقد كان خبيراً بمواقعها وأحوالها ولعله أتقن هناك اللهجة الأيونية التى كتب بها . لكنه ظل على علم تام بما يجرى فى موطنه من حوادث وبالتيارات السياسية المختلفة التى تسوده ، وبروح مواطنيه المعنوية . فلما واتته الفرصة رجع إلى وطنه وعاون فى طرد الطاغية وتثبيت النظام الديموقراطى . ولكنه فيما قال المؤرخ سويداس (تحت اسمه) لم يجد نفسه محبوباً لدى قومه فهجرهم طائعاً مختاراً إلى مدينة ثوريوم فى الوقت الذى كان أهل آثينا يستعمرونها فيه . ومات فى ثوريوم ودفن فى سوق المدينة . تلك رواية سويداس ليس علينا من بأس إذا أخذنا بها فليس هناك ما يناقضها .

وكان هيرودوت شديد الإعجاب بأهل أثينا فزارهم ، وروى لهم ماتيسر من قصصه التاريخى ، فاعترفوا بما أسداه إليهم من نفع وما قدمه لهم من متعة فقرر مجلسهم النيابى سنة ٤٤٥ ق . م أن يمنح عشرة طالنط مكافأة له على إحسانه . ولم تكن زيارته تلك عابرة ففى تاريخه ما يفيد معرفته التامة بمواقع البلاد ونفسية أهلها مما لايتيسر إلا بالإقامة الطويلة بين ظهرانى أهلها . وفى آثينا توطدت أواصر الصداقة بينه و بين سوفوكليس الذى أعجب لاشك بكتاباته فأشار إليه فى بعض رواياته ، وأهدى له مقطوعة من شعره . و يظهر أن شهرة هيرودوت طبقت آثينا كلها وسرت فى مختلف طبقاتها ، فقد أشار أريستوفانيس إلى « تاريخ هيرودوت » فى كثير من مسرحياته ، وليست الكوميديا مجالا للاشارة لغير المعروف المشهور لدى الجمهور .

لعل ذلك هو كل ما نستطيع أن نقرره على وجه التحقيق من قصة أبى التاريخ . أما حياته ، وهيئته ، ورحلاته ، ومؤلفاته ومنهج تأليفه فكلها مجال للظن والتخمين والاستنتاج .

فإن مصادرة أملاكه ونفيه وقتل عمه على يد الطاغية ، ورجوعه إلى وطنه لطرد الطاغية أمور تشير كلها إلى أنه كان من بيت كبير ، له بين القوم حظوة أثيرة ومكانة عالية وصوت مسموع . و إن فى رحلاته العديدة البعيدة الشقة فى عصر تصعب فيه الرحلة وتبهظ فيه نفقاتها دليلا على أن الرجل كان ميسر الحال قادراً على الانفاق على هذه الرحلات .

وليس فى كتابه بعد ذلك ما ينير الطريق أمام مترجم حياته . فقد كان من الدروس التى تعلمها عن هوميروس وأتقنها أن يخفى شخصيته فى فنه ، فلا يتناول نفسه وعواطفه ودوافعه بالبيان والإيضاح . فصارت الموضوعية غالبة على كل ماقال ، فيما عدا ما يذكره أحياناً من أنه رأى هذا الشىء أو ذاك بعيني رأسه أو ارتحل إلى هنا أو هناك ليقف على الحقيقة بنفسه .

فمتى كانت هذه الرحلات ؟ وما السابقة منها وما اللاحقة ؟ وكيف دبَّر أمرها ؟ وكيف أنفق عليها ؟ وهل صحبه أحد فيها ؟ كل هذه أسئلة لا جواب فى تاريخه عليها . ولكن الكتاب فى جملته شاهد على أنه زار مصر وصَعَّد فيها جنوباً إلى الشلال الأول ، وزار سوريا وجاوز بابل وسوسا وهمذان ، وتنقل بين شواطىء البحر الأسود وجنوب روسيا ، أى أنه ارتحل مسافة ٣١° درجة طول من الشرق إلى الغرب و٢٤° درجة عرض من الشمال إلى الجنوب .

ولكن تاريخ هذه الرحلات كما قلنا مجهول ، اللهم إلا ما نعرف من أنه زار مصر بعد عام ٤٥٩ ق. م. وأنه قد زار سكيثيا قبل ذلك التاريخ .

وغرضه من هذه الرحلات مجهول كذلك . فهل زار هذه البلاد ليجمع مادة لتاريخه بعد أن قد اختمر الموضوع فى ذهنه فترة طويلة من الزمان ؟ أم أنه زار هــذه البلاد بدافع من التجارة والربح فجاء تاريخه نتيجة لهذه الزيارات ؟

حقاً إن هيرودوت زار كثيراً من المرافئ وعنى ببيان طرق النقل ،

وأظهر معرفة واسعة بالسلع وأنواعها وطرق تميزها وأسواقها المختلفة مما يرجح الرأى الثانى . ولكن زياراته شملت المراكز الثقافية كما شملت المراكز التجارية ، ثم أنه يقول صراحة إنه أبحر من مصر إلى صور ليستوثق من رواية البعض فى هرقل (٤٤) . فإذا كان ترحاله بغية الوقوف على الحقائق التاريخية وجمع مادة تاريخه بالسماع والمشاهدة أو جمع المخطوطات ، فكيف كان يحصل معاشه وقد كان مشرداً منفياً ؟ ومن أين له القدرة والخبرة بالقراءة المجودة حتى استحق ما نال من مكافأة فى آثينا ؟ أغلب الظن أنه كان يجد من الجاليات اليونانية المغتربة فيما زار من أصقاع جمهوراً استمع إلى ما روى من تاريخ ، فكسب الشاعر خبرة بفن الإلقاء ورزقاً استعان به على الحياة ومتابعة الرحلات .

***

كان هدف هيرودوت كما أثبته فى مستهل تاريخه هو كتابة تاريخ الحرب اليونانية الفارسية أو الحروب الميدية . ولكنه رأى أنه لا بد للوصول إلى أسباب هذا الصراع العنيف فى جذورها البعيدة من وصف نشوء الامبراطورية الفارسية ، فكتب تاريخ ليديا ووصف فتوحات كرويسوس وأعماله مقدمة لنشوء الامبراطورية الفارسية . وقد غزا الفرس مصر ، فكان ذلك إيذاناً باستطراد طويل فى وصف مصر وعادات أهلها ورواية تاريخها فى كتابه الثانى .

وكانت حملة دارا على الاسكيثيين فاتحة استطراد طويل آخر فى وصف

سكيثيا وعادات أهلها ، ثم تستقيم الرواية بعد ذلك إلى الكتاب التاسع وقد عنون كل كتاب منها باسم ربة من ربات الفنون الأدبية التسع ، وتطرد فيها الرواية بعض الاطراد . فقد كان من واجب المؤرخ عند هيرودوت أن يضيف إلى روايته كل ما من شأنه أن يفتن الجمهور ويثير فيه حب الاستطلاع . فالاستطراد محبب إلى قلبه يلجأ إليه بل هو يسعى إليه ليزيد من طلاوة موضوعه وحسن وقعه فى النفوس . فجاء كتابه تاريخاً للشرق الأدنى كله ، وموسوعة فى معتقدات أهله ، ووصفاً للعالم كما عرفه اليونانيون المعاصرون .

هذا الموج المتلاحق من المعارف والمعلومات يتدفق فى قوة واصطفاق ينحنى أحياناً فى استطراد يقصر أو يطول ولكنه يتجمع آخر الأمر حول المواقع الخالدة فى تاريخ اليونان ، حول ماراثون وثرموبيلاى وسلاميس وبلاتيا . فما هى القوة التى تدفع هذا التيار — على الرغم من هذه الانحناءات الكثيرة — إلى هدفه فى قوة وسرعة ويسر ؟ هى لا شك الوحدة الفنية . وإنا لا نعنى وحدة الموضوع فالاستطراد وحده كان كفيلاً بالقضاء عليها ، ولا وحدة المكان فالرحلات المتعددة قمينة وحدها بإخفائها ولكنا نعنى وحدة الحركة التى تتجلى فى تاريخه كما تتجلى فى روائع الأدب المسرحى اليونانى .

كانت هذه الموسوعة التاريخية مستقاة بالطبع من مصادر متعددة ، تصف حضارات لا يعرف المؤرخ لغاتها ، ولم تكن كتابة التاريخ قد نحت

نحو العلم بعد ، فقد كانت يومئذ فناً أدبياً خالصاً . ولم يكن تمحيص الروايات وترتيب المصادر بحسب جدارتها بالاعتماد من همّ المؤرخ فى القرن الخامس قبل الميلاد . فإذا اختلفت المصادر هذا الاختلاف البين ، وتعددت الروايات فى الشىء الواحد تعـدداً كبيراً ولم يكن للمؤرخ منهج واضح يعصمه من الزلل كلما التوت به السبل أو تشعبت به الطرق ، كان من الطبيعى أن تجىء روايته متفاوتة من حيث قربها من الحقيقة أو بعدها عنها. وهكذا نجد صفحات هيرودوت تقترب تارة من الحق حتى تكاد تصيب كبده ، وتجانبه أحياناً حتى لتكاد تجافيه . وليس على المورخ فى ذلك كله من بأس ، فقصارى جهده أن يثبت ما سمع وأن يثـير الشك فى نفس جمهوره إذا لم تكن الرواية جديرة بالتصديق .

ولما كانت مؤانسة الجمهور هدفه الأول فقد عمد إلى القصص الشعبى يزجيه له فى عذوبة جرس وسلاسة عبارة ، ولو كان هذا القصص مما لا يرقى إلى مرتبة التاريخ . ولـكن القصص الشعبى يدخل هو كذلك فى مجال التاريخ ، ومعتقدات قوم بشأن أنفسهم فى فترة من الفترات هى كذلك من لباب التاريخ .

ويمتاز فن القصة عند هيرودوت بخصلة لا تفارقه هى ولعه الشديد بتصوير الشخصيات مستقلة متفردة كما يتجلى فى صور قورش وقمبيز ودارا واكزركسيس وملوك أسبرطه ، وثميستكليس وأريستيديس من زعماء

آثينا . وقد تجلت قدرته هذه فى كتابه الثانى فى مصر فى صورة أمازيس (١٦١ -١٦٣ ، ١٧٢ - ١٧٦) . ولقددفعه هذا الولع بتصوير الشخصيات إلى العناية بالجانب الشخصى من حياة أبطال قصصه ، ليضفى على صورها حياة وحركة كما نرى فى قصة تجربة پسماتيك (٢) وفى قصة كنز رامپسينيتوس (١٢١)

ولم يقتصر ولعه بتصوير الشخصيات على تصوير أبطال قصصه من الأفراد ، بل تعداه إلى تصوير شخصية الشعوب التى تصطرع فى ميدان تاريخه الفسيح ، فقد ميز صورها فى أذهان جمهوره بما رسمه من مقوماتها ومشخصاتها ، فالمصرى خاشع متدين ، والفارسى مترف خانع ، والآثينى شهم متهور ، والأسبرطى أنانى متنمر .

وأجاد هيرودوت وصف الشعوب البدائية من الاسكيثيين والتراقيين وأهل شمال أفريقيا ، فأبرز مميزاتهم وخصائصهم ونفذ إلى دروب نفوسهم ومسالك تفكيرهم . ولكنه لم يوفق توفيقا كبيراً فى فهم أصحاب الحضارات الشامخة والتراث الفكرى التالد ، من بابليين ومصريين وليديين .

وثمة خصلة أخرى لا تفارق هيرودوت هى تجرده من عقائد أهل زمانه الموروثة ونظرته إلى الأشياء نظرة أصيلة ذاتية، فأعانه هذا على فهم الحضارات المختلفة وبيان وجوه امتيازها عن الحضارة اليونانية حتى اتهمه بعض النقاد بالتعصب للأجانب وتفضيهلم على اليونانيين .

واتهم هيرودوت أحيانا بغرارة الذهن وسرعة التصديق ولكن نظرة

عابرة فى تاريخه ترينا أنه كان شديد التحرز فى رواية مصادره الشفوية ، شديد الاحتفال بإسناد الأقوال إلى قائليها ، فاذا ارتاب فى صحة رواية بدأها بالتشكيك فيها والتهوين من شأنها .

ولقد كانت معلوماته الجغرافية سبباً فى سخط كثير من النقاد عليه . والحق أن معلوماته فى هذه الناحية ناقصة معيبة ، ولكنها على أية حال تمثل ما كان سائداً فى عصره من آراء ، فليس فيمن سبقه من الكتاب من كان أكثر منه علماً بالجغرافيا .

فقد كان هيرودوت يعتقد مثلا أن الأرض مسطحة . وكان هذا رأى هيكاتيوس أيضاً . ولكن هيكاتيوس اعتقد أن الأرض دائرة مسطحة يحيط بها الأوقيانوس . أما هيرودوت فضرب بذلك الرأى عرض الأفق زاعماً أنه وهم فى خيال الشعراء (٢٣) . هذا مع أن نظرية كروية الأرض كان ينادى بها الفيتاغوريون قبل نهاية القرن السادس قبل الميلاد ، ولكنها لم تقبل فى مختلف الدوائر إلا بعد زمن هيرودوت بقرن من الزمان عندما كتب أرسطو حججه فيها .

وكان تصوره الجغرافى كذلك قاصراً . فهو يروى كيف أن السفن المصرية أبحرت فى عهد نيخوس (٦٠٩ ـ ٥٩٣ ق . م) من البحر الأحمر ووصلت ثانية بعد سنتين عن طريق أعمدة هرقل (جبل طارق) إلى المكان الذى أبحرت منه . ثم يشك فيما قرره البحارة من أنهم عندما التفوا حول ليبيا (أفريقيا) كانت الشمس عن يمينهم . وهو أمر كان يجب أن

يفطن إلى صحته لو تصور أنهم جاوزوا خط الاستواء .

وليس من شك فى أن تاريخ هيرودوت يدعو أحيانا إلى النقد الشديد ، فأكثر ما اعتمده كان ما سمعه من قوم ليس لهم علم راسخ بما يفتون . ولكن لا جناح على المؤرخ فى ذلك فقد لجأ إلى هؤلاء عندما أعوزته المصادر المكتوبة أو المنقوشة . ولكنا نعيب عليه بحق أنه لا يعبأ أحيانا بتسجيل مرجعه حينما يكون اعتماده على مصدر مكتوب أو منقوش

ب — هيرودوت فى مصر

قال هيرودوت فى كتابه الثالث (١٣٥) : « لقد دخل الكثيرون من اليونانيين مصر مع جيش قمبيز — لما غزا مصر سنة ٥٢٥ ق . م — جاء بعضهم بغية التجارة ، وجاء البعض الآخر جندياً مرتزقاً ، وجاء آخرون لمشاهدة البلاد » .

وأغلب الظن أن هيرودوت جاء مصر « لمشاهدة البلاد » .

وكانت زيارته فى عهد الملك ارتاكزرسيس الأول (٤٦٤ — ٤٢٤ ق. م)

وحيث أن هيرودوت كان فى أثينا عام ٤٤٥ ق . م فإن رحلته إلى مصر كانت قبل ذلك التاريخ حتما . وحيث أن هيرودوت يقرر فى كتابه الثالث (١٢) أنه رأى هياكل القتلى من المصريين والفرس فى پاپريميس وهذه الموقعة لم تنشب إلا فى عام ٤٤٩ ق . م . وحيث أن اليونانيين قد اشتركوا فى الثورة المصرية تحت قيادة إناروس ضد الفرس ، وليس من

من المعقول أن يجىء هيرودوت إلى مصر وقت اشتعال هذه الثورة ، وحيث أن هذه الثورة لم تخمد إلا فى عام ٤٤٨ ق . م . فقد جاء هيرودوت مصر فيما بين سنة ٤٤٨ و سنة٤٤٥ ق . م .

فماذا كان موقف المصريين من هؤلاء اليونانيين ؟

كان موقفهم أول الأمر عدائياً يتجاهلونهم و يزدرونهم ولا يتصلون بهم ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرين فاضطرت إلى استخدام الجنود المرتزقة من اليونانيين . فكان موقف المصرى منهم موقف المضطر إلى العون الذى لا بد منه لمواجهة صعاب الحرب ومضانكها . فكان المصرى يخفى خجله من تفوق الجندى اليونانى عليه بالاستعلاء والعزوف ، وباضطراره اليونانى إلى التسليم بفضل الحضارة المصرية وامتيازها، ثم تبدى الخطر الفارسى يهدد كلا الحضارتين المصرية واليونانية ، ويكاد يودى بهما جميعاً . فجمع الخطر المشترك بين المصريين واليونانيين واضطرهم إلى التفاهم والتعاون .

وإذن فقد كان المصرى على الرغم من كرهه لليونانى وعزوفه عنه واعتباره نجساً ، يتلطف معه ويؤاخيه . وهكذا تأتى لهيرودوت أن يستمع لبعض الكهنة والتراجمة .

ومكث هيرودوت فى مصر حوالى ثلاثة أشهر ونصف ، . كانت من أغسطس إلى نوفمبر على الأرجح فقد كان فى مصر فى زمن الفيضان (٩٧) . نزل بمصر فى كوم سمدى شمال شرق الاسكندرية وذهب منها إلى كوم

جيف بالقرب من نقراش ومنها إلى ميت رهينة ، ومن هنا قام برحلة قصيرة إلى المطرية ، ثم ركب النيل إلى أسوان ونزل فى الأشمونين والأقصر ، وفى طريقه راجعاً زار منخفض الفيوم وبحيرة قارون ، ثم رجع إلى ميت رهينة وقام بجولة فى وسط الدلتا وشرقيها .

ولقد ذكر هيرودوت ثمانية عشر إقليما من أقاليم مصر أو مديرياتها ، واحد منها فقط فى الوجه القبلى . وذكر من المدن المصرية أربعاً وأربعين مدينة ثمان منها فحسب فى الوجه القبلى . ولم يصف مقابر الملوك ولا تمثالى ممنون . فأغلب الظن إذن أن رحلته إلى الوجه القبلى كانت عابرة خاطفة ، أو لعل المؤرخ هيكاتيوس قد أفاض فى وصف هذه الروائع المعمارية بما لم يدع لهيرودوت مجالا للحديث عنها . ولكن هذا لا يكفى لتعليل صمته .

الظاهر أن الرحالة القديم كان يخاف أن يرحل ومعه مال كثير . فكان اليونانى يضطر إلى الاختلاف إلى المراكز التجارية اليونانية التى يستطيع أن يكون له فيها حساب جار ، يقترض منها ما يعيش عليه ، ويسدد دينه حينما يؤوب إلى مركز ترحاله . ومن المحقق أن هيرودوت لم يعرف اللغة المصرية ، وفى هذا ما يفسر تفضيله الإقامة فى الدلتا حيث يكثر اليونانيون.

ولم يكن لهيرودوت أن يعتمد على الفرس فى تسهيل أمر الرحلة ومقابلة من يريد من الحكام أو الكهنة ، فقد كان الفرس ينظرون إلى اليونانيين يومئذ بعين الريبة والتوجس لأنهم عضدوا الثورة التى قام بها المصريون فى وجه الفرس ، بل إنه من الجلى أن هيرودوت كان يتجنب الأوساط

الحكومية فهو لم يعلم أن اللغة الرسمية فى الدواوين كانت حينذاك اللغة الأرامية.

فاذا لم يكن هيرودوت عالماً باللغة المصرية ولا هو حاول أن يتعلمها فكيف استقى معلوماته من الكهنة ؟ .

كان المترجمون عونه على ذلك لا شك ، ولقد أعجب بحسن تعبيرهم باللغة اليونانية ، مما حدا به إلى الإطناب فى الحديث عن نشأتهم (١٥٤) . ولعل هؤلاء المترجمين كانوا مثل خلفائهم من التراجمة ولعين بالأغراب والمبالغة معتمدين على جهل الأجانب بلغة النقوش واستعدادهم للتصديق لفرط إعجابهم بالآثار . أم لعل القوم كانوا قليلى العلم ، حسنى النية أدلوا بما وصل إليه علمهم . وإذن فهيرودوت قد حفظ لنا تاريخ مصر كما كان يتصوره أبناؤها فى القرن الخامس ق . م فأبان بذلك عن حالة البلاد الفكرية فى تلك الفترة .

ويقرر هيرودوت فى مواضع متعددة أن سنده فيما يروى من أخبار هو كهنة منف . وأغلب الظن أنه لم يتصل بكبار الأحبار وفقهائهم ، بل كان اتصاله بالكتاب والمسجلين فى المعابد (٢٨) . ولم يكن هؤلاء على علم عزيز . ولعلهم كانوا قادرين على قراءة النقوش الهيروغليفية ، ولكنهم لم يجشموا أنفسهم مشقة الجمع والترجمة . فأتحفوا المؤرخ بما فاضت به عقولهم من روايات وقصص مرتجلة لا تستند إلى أساس من التاريخ قويم .

* * *

وإن هذه القصص لتنقسم إلى أقسام ثلاثة : قسم منشؤه الآثار نفسها وما عليها من رسوم يحاولون تعليلها دون الاعتماد على النقوش ، ومثلنا فى

ذلك قصة الملك سيثون (١٤١) وقصة نجاة سيسوستريس (١٠٧) .
وقسم منشؤه قصص أدبية عزيت حوادثها لملوك متقدمين، ومثلنا فى ذلك
قصة كنزرامپسينيتوس (١٢١) وغزوات سيسوستريس (١٠٢ وما بعدها)

وقسم ثالث كان النقاد فيما مضى يضربون به عرض الأفق ، ويعتبرونه
من سقط المتاع ولكن النقد الحديث يرى فى هذه القصص غير هذا الرأى،
ويعتبرها صدى دين قديم سابق لدين رع وأوزيريس .

كان الكاهن فى هذا الدين ملكا يبسط سلطانه على الدولة بما أوتى من
قوة السحر فهو الذى يحيي الأرض ويمدها بالماء ،ويدفع غائلة الفيضان. فاذا قال
هيرودوت (١١١) إن فيروس ألقى بسهمه فى صدر التيار الدافق فهو يحكى
صدى محاولة الملك الكاهن في صد الفيضان وكبح جماحه، وإذا تحدث بشكوى
منقرع من القدر (١٣٣) فهى قصة الملك الكاهن الذى كان عليه أن يقضى
على حياته فى عنفوانها ليضمن انتقال القوة والبأس إلى خلفه ، وإذا اغتصب
أحد الملك كان عليه أن يقضى على الجالس على العرش حتى تنتقل اليه قوته
السحرية ، وهذا ما يرويه هيرودوت فى حديثه عن سيسوستريس(١٠٧).

ولقد زل هيرودوت زلته الكبرى إذ اعتبر عصر بناة الأهرام تالياً
لعصر الدولة الحديثة ، فهو يتحدث عن خوفو وخفرع ومنقرع بعد حديثه
عن (رمسيس) . ولعل مصدر هذا الخلط هو تشابه آثار الأسرة السادسة
والعشرين وآثار الأسرة الرابعة ، فقد كان عصر الأسرة السادسة والعشرين
عصر إحياء ونهضة .

ولننتقل الآن إلى الناحية الجغرافية من كتاب هيرودوت ، وهى أضعف جانب فيه . كان هيرودوت يؤمن بأن الأرض تنقسم إلى قارات ثلاث ، أوروبا وآسيا وليبيا (افريقيا) . ولكنه جعل وادى النيل جزءاً من آسيا . وهو يصف امتداد مصر على ساحل البحر المتوسط فيقول (٦) إن طولها من خليج العرب إلى بحيرة بردويل حوالى ٦٦٧ كم ، مع أن المسافة من طرف بحيرة مريوط الغربى — المقابل لخليج العرب — وبين رأس الكأس الذى يعتبره هيرودوت (١٥٨) حد مصر من الشرق هى ٤١٥ كم فحسب .

ويتحدث هيرودوت عن البحر الأحمر فيسميه ، أحياناً خليج العرب . وأحياناً البحر الأحمر ، ويظهر أنه لم يعلم بوجود خليج العقبة . ولم يدر أن ما نسميه الآن بخليج السويس ليس إلا خليجاً من البحر الأحمر . فهو لم يتصور أن البحر الأحمر قد يكون فى أى جزء من أجزائه أعرض من خليج السويس (١١) وليس عليه فى ذلك من عيب فقد كان الرحالة القدماء يسيرون بمحاذاة الساحل الافريقى دائماً .

ويبالغ هيرودوت أحياناً فى تقدير المسافات فهو يقرر (٩) أن المسافة من المطرية إلى الأقصر بالنهر هى ٩٠٠ كم ، وهى فى الحقيقة ٧٢٩ كم ، وأن المسافة من الأقصر إلى الفنتين هى ٣٣٣ كم وهى فى الواقع ٢١٧ كم . وهو يقارب الحقيقة أحياناً . فهو يقرر (٧) أن المسافة من البحر الى المطرية هى ٢٨٧ كم ، وهى فى الحقيقة — على طول فرع رشيد — ٢٥٩ كم .

ويجب أن نقرر أن كل الأبعاد التى يذكرها هيرودوت هى

أبعاد تقديرية ، ولذلك كانت كل أعداده كاملة ليس فيها كسور .

* * *

شاء هيرودوت أن يكون كتابه الثانى نصفين ، يقصر النصف الأول منه على مشاهداته الخاصة وآرائه الشخصية ، ويفرد النصف الثانى لما يلقى اليه من أخبار ، وشاء أن ينتهى النصف الأول عند آخر الفصل الثامن والتسعين . ولكنه لم يتقيد بذلك التقسيم كثيراً فى كتابه فقد اختلطت المشاهدة بالسماع ، وجاء كتابه وحدة متماسكة منسجمة . وليس الكتاب الثانى مع كل ذلك وحدة قائمة برأسها . بل هو جزء من تاريخه الطويل ليس له مقدمة ولا هو ينتهى تماماً عند نهاية الجزء الثانى ، فى الكتاب الثالث فصول كانت جديرة بأن تلحق بالكتاب الثانى .

* * *

وبعد ، فلقد ظل هذا الكتاب الثانى العمدة الكبرى للمشتغلين بتاريخ مصر من القرن الخامس ق . م إلى أن وفق علماء الآثار إلى حل رموز اللغة المصرية ، ونهض علم الآثار وعلم الحفريات ففندا الكثير مما ذهب اليه هيرودوت ولكن الكتاب لا يزال محتفظاً بقيمته التاريخية ، فهو عمدة الأثرى فى دراسة تاريخ مصر من الأسرة السادسة والعشرين الى القرن الخامس ق . م . فإن آثار هذا العهد لم تر النور بعد على يد علماء الآثار . وهو صورة لمصر صادقة فى منتصف القرن الخامس ق . م . وهو فوق كل ذلك أثر أدبى فنى يبقى على وجه الزمان .

الكتابُ الثاني

يوترپي

ربّة الشعر الغنائي

منهج الترجمة

للنص عندنا حرمة لم تبح لنا التصرف فى ترجمته . ولذلك فقد جاءت الترجمة أقرب ما تكون إلى صورة النص الأصلية، تبرز خصائص اللغة اليونانية فى التراكيب والتعبيرات ، وتبين عن أسلوب هيرودوت فى الحكاية والوصف ، ولقد أبقينا على أسماء البلاد كما ذكرها ، وأثبتنا فى لحق خاص ما يقابلها فى العصر الحديث ، وكذلك الأمر فى الموازين والمكاييل والأطوال .

الكتاب الثانى

١ — بعد موت قورش[١] تولى الملك قمبيز ، وهو ابن قورش وكاساندانى ابنة فارناسپيس ، وقد حزن عليها قورش نفسه لما ماتت قبله حزناً عظيماً ، وأمر كل أتباعه أن يحدوا عليها كذلك . أما قمبيز وهو ابن هذه المرأة وقورش ، فقد نظر إلى الأيونيين والأيوليين كأنهم رقيق موروث ، ولما قام بحملته على مصر ، أخذ معه — بالإضافة إلى آخرين من رعيته — اليونانيين الذين كانوا تحت سلطانه .

٢ — ولقد كان المصريون قبل أن يتولى پسماتيك[٢] الملك فيهم ، يظنون أنفسهم أعرق الناس قدماً ، ولكن لما تولى پسماتيك الملك أراد أن أن يعرف أى الشعوب أقدم . ومنذ ذلك الحين أخذ المصريون يعتقدون أن الفريجيين[٣] خلقوا قبلهم وأنهم هم أنفسهم خلقوا قبل سائر الشعوب الأخرى ولما لم يكن پسماتيك قادراً على الوقوف على طريقة ما لاستقصاء

(١) هو منشىء الامبراطورية الفارسية ، توفي سنة ٥٢٩ ق . م وتولى الملك بعده ابنه قمبيز الذى غزا مصر سنة ٥٢٥ ق . م .

(٢) هو مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فى سايس بعد طرد الأحباش بمساعدة الجنود المرتزقة من الأيونيين والكاريين سنة ٤٦٦ ق . م تقريباً

(٣) سكان المنطقة الوسطى من آسيا الصغرى

أى الشعوب أقدم ، فقد اهتدى إلى التجربة الآتية : أعطى طفلين حديثى المولد من العامة إلى راع ليأخذهما ويربيهما بين ماشيته على النحو الآتى : أمر الراعى ألا يُخرج أحدٌ أى صوت فى حضورهما ، وأن يناما وحدهما فى غرفة منعزلة . وأن يسوق إليهما فى الأوقات المناسبة معزى، وبعد أن يرتويا لبناً يقوم بسائر حاجاتهما . ولقد انتهج پسماتيك هذا النهج وأدلى بهذه الأوامر لأنه أراد أن يسمع أى الأصوات يخرجها الطفلان أولاً بعد أن يقلعا عن ثغائهما الذى لا يبين ، وهذا ما حدث فعلا . فبعد أن ظل الراعى على هذا النهج مدة عامين ، حدث أنه عندما فتح الباب ودخل ارتمى الطفلان كلاهما على قدميه وصاحا « بِكُسْ »[١] وقد مدّا أيديهما لما سمع الراعى ذلك ، لم يحرك ساكناً أول الأمر ، ولكن عندما تكررت الكلمة كثيراً كلما زارهما أو عنى بهما ، أخبر سيده بالأمر وجاء بالطفلين — بحسب أمره — إلى حضرته . وبعد أن سمعهما پسماتيك بنفسه بدأ يبحث أى شعب يسمى شيئاً بلفظة « بكس » . وبالبحث علم أن الفريجيين يطلقونها على الخبز . وهكذا اعترف المصريون — على هدى هذه التجربة — أن الفريجيين أقدم منهم . ولقد سمعت أن الأمر حدث كما ذكرت من كهنة هيفايستوس فى منفف . ولكن اليونانيين يقولون قصصاً مأفونة أخرى كثيرة منها ، أن پسماتيك قطع ألسنة نساء وجعل الطفلين يربيان عند أولئك النسوة .

(١) الكلمة تعنى « الخبز »

٣ — هذا ما يقولونه بشأن تربية الطفلين . وقد سمعت قصصاً أخرى في منف عند ما ذهبت إليها لمحادثة كهنة هيفايستوس . وعلاوة على ذلك فقد يممت شطر طيبة [١] وهليوپوليس لهذا الغرض نفسه ، فقد أردت أن أن استوثق عما إذا كانت روايات كهنتها تتفق مع روايات كهنة منف . ذلك أنه يقال إن كهنة هيلوپوليس أفقه المصريين في العلم . أما ما سمعت من قصص الآلهة فلست حريصاً على أن أثبت منها إلا أسماء الآلهة فحسب ، فإني أعتقد أن الناس أجمعين يعلمون عن الآلهة قدراً متساوياً ، أما ما عساى أن أذكره عنها فإني مضطر إلى ذكره بسياق التاريخ .

٤ — أما عن المسائل الإنسانية فالكهنة يتفقون فيما بينهم في قولهم أن المصريين كانوا أول من عرف السنة الشمسية وأنهم جعلوها مؤلفة من اثنى عشر قسماً من الفصول ، ويقولون إنهم اكتشفوا هذه الأشياء بملاحظة النجوم . وهم في تقويمهم هذا أدق من اليونانيين فيما أرى ، إذ أن اليونانيين يضيفون إلى كل سنتين شهراً نسيئاً حتى تستقيم الفصول . أما المصريون فيحسبون اثنى عشر شهراً مؤلفاً من ثلاثين يوماً ويضيفون إلى هذا العدد خمسة أيام كل سنة ، وهكذا تتم دورة الفصول عند نقطة ابتداء التقويم .
ويقول الكهنة أيضاً إن المصريين كانوا أول من سمّى الآلهة الإثنى

---

(١) هي مدينة الأقصر عاصمة مصر في عهد الدولة الحديثة . ظن اليونانيون أن اسمها « طايت » يقابل اسم طيبة عاصمة بيوشيا عندهم . فأطلقوه عليها . وكان اسمها الأكثر شيوعاً في مصر هو « نو » أي المدينة . وقد ورد هذا في العهد القديم إرميا ٤٦ : ٢٥

عشر بألقابها ، وأن اليونانيين أخذوا ذلك عنهم ، وأن المصريين أول من وقف للآلهة الهياكل والتماثيل والمعابد ، وأول من حفر صور الآلهة على الأحجار . وقد بينوا لى أن أكثر هذه الدعاوى كان فى الواقع كما ذكروا . وقالوا كذلك إن مينا كان أول ملك لمصر من البشر ، وإن مصر فى عهده كانت كلها — فيما عدا مقاطعة طيبة — مستنقعاً ، فى حين لم تكن واحدة من البقاع التى تقع الآن شمالى بحيرة مويريس[١] (وهى من البحر على مسافة سبعة أيام تصعيداً فى النهر) بارزة فوق الماء .

٥ — ويبدو لى أنهم مصيبون فيما يقررون من طبيعة البلاد ، لأنه من الواضح لمن لم يستمع إلى أقوالهم بل رأى البلاد رأى العين فحسب ، وكان ذا فطنة ، أن مصر التى يبحر إليها اليونانيون بسفنهم ، أرض اكتسبها المصريون وأنها هدية من النهر[٢] . هذا إلى أن الإقليم الواقع على مسافة رحلة ثلاثة أيام مما يلى البحيرة ينطبق عليه أيضا هذا الوصف ، ولو أن هؤلاء الكهنة لم يقولوا عنه شيئاً كهذا . وذلك أن طبيعة أرض مصر كما يأتى : إذا كنت مبحراً إليها أول مرة ولا زلت على بعد رحلة يوم من اليابسة ، وأدليت المسبار فستخرج طمياً وستكون على بعد أحد عشر باعاً ، وهذا يوضح أن الطبقة الطميية تمتد إلى هذا الحد .

٦ — وامتداد مصر على ساحل البحر ستون سخينوسا بحسب تحديدنا

---

(١) هى بحيرة قارون الآن .

(٢) هذا التعبير اقتبسه هيرودوت من هيكاتيوس .

لمصر من خليج پلينثوس إلى بحيرة سربونيس[١] التي يمتد تل كاسيوس[٢] بجانبها ، والستون سخينوساً تبدأ من هذه البحيرة . والذين يملكون أراضى صغيرة يمسحونها بالباع ، وأصحاب الأراضى الأكبر منها يمسحونها بالستاد ، وأصحاب الأراضى الواسعة يمسحونها بالفرسخ ، وأصحاب الأراضى الواسعة جداً يمسحونها بالسخينوس ، والفرسخ يعادل ثلاثين ستاداً ، والسخينوس — وهو مقياس مصرى — يعادل ستين ستاداً ، و إذن يكون امتداد مصر على ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد .

٧ - ومصر فى الداخل من الشاطئ إلى مدينة هيلو پوليس واسعة، وكلها منبسطة وغاصة بالماء وموحلة. والمسافة من البحر إلى مدينة هيليو پوليس تكاد تساوى فى الطول الطريق المؤدية من هيكل الآلهة الاثنى عشر فى آثينا إلى معبد زيوس الأولمپى فى بيزا . فإذا حسب المرء المسافة لوجد الفرق بين هذين الطريقين ضئيلا جداً ، حتى إنهما ليكادان يتساويان ، إذ الفرق لا يزيد عن خمسة عشر ستاداً ، فالمسافة من آثينا إلى بيزا تقل بمقدار خمسة عشر ستاداً عن ١٥٠٠ ستاد فى حين أن المسافة من البحر إلى مدينة هيليو پوليس تبلغ ذلك الرقم .

٨ — ومصر ضيقة أبتداء من مدينة هيليو پوليس حتى الجنوب ، وفى

---

(١) هى بحيرة بردويل الآن . سميت كذلك باسم بلدوين ملك أورشليم المتوفى سنة ١١١٨ م .

(٢) يبعد أربعون ميلا عن مدينة پيلوزيوم وهو الآن رأس الكأس أو القسروم .

ناحية بلاد العرب تقوم سلسلة جبال من الشمال إلى الجنوب والجنوب الغربى وتمتد مرتفعة فى اطراد إلى البحر المسمى بالبحر الأحمر . وفى هذه السلسلة توجد مقالع الأحجار التى هيئت من أجل الأهرام التى توجد بالقرب من منف ، وهنا تبلغ الجبال نهاية امتدادها وتنحنى صوب الجهات التى ذكرتها. والمسافة من الشرق إلى الغرب عبر هذه الجبال حينما تبلغ أقصى اتساعها مسيرة شهرين كما علمت ، وحدودها الشرقية مصدر للبخور . هذه إذن طبيعة هذه الجبال . هذا وتوجد سلسلة أخرى من الجبال الصخرية على الجانب الليبى من مصر ، وتقع فيها الأهرام ، وهذه السلسلة مغطاة بالرمال ، وهى تمتد فى نفس اتجاه ذلك الجزء من سلسلة الجبال العربية الذى يمتد إلى الجنوب .

وإذن فالبلاد بعد هليوپوليس لم تعد شديدة الاتساع بالنسبة إلى أنها جزء من مصر . بل إن الأراضى المصرية البحتة تكون إلى مرحلة أربعة عشر يوماً فى الداخل ضيقة ، والأرض الواقعة بين سلسلتى الجبال التى ذكرتها سهل ، لا يزيد اتساعه بحال فى أضيق جزء منه فيما يبدو لى ، عن مائتى ستاد ، فيما بين سلسلة الجبال العربية وسلسلة الجبال الليبية كما يسمونها ، وبعد ذلك تكون مصر متسعة من جديد .

٩ — هذه إذن هى طبيعة البلاد ومن هيليوپوليس إلى طيبة إبحار تسعة أيام تصعيداً فى النهر ، وهى مسافة ٤٨٦٠ ستاداً ، لأنها مسافة ٨٠ سخينوساً . هذه إذن أبعاد مصر موضوعة بعضها بجانب بعض .

ولقد أوضحت فيما سلف أن طول ساحل البحر ٣٦٠٠ ستاد وسأبين الآن البعد من البحر إلى مدينة طيبة فى الداخل ، فهو مقدار ٦١٢٠ ستاداً أما المسافة من طيبة الى المدينة للسّماة مدينة الفيل فهى ١٨٠٠ ستاد .

١٠ — والجزء الأكبر من هذه البلاد التى تحدثت عنها هو — كما قال الكهنة ، وكما أعتقد شخصياً — كسب للمصريين ، فقد بد الى أنه من الجلى أن السهل الواقع بين سلاسل الجبال التى تحدثت عنها مما يلى مدينة منف كان فيما مضى خليجاً فى البحر ، شأنه فى ذلك شأن البقاع الواقعة حول طروادة وتيو ثرانيا و إفسوس وسهل مياندروس . هذا إذا جاز أن نقارن صغير الأمور بكبيرها ، إذ لا يمكن أن يقارن واحد من هذه الأنهار التى كونت هذه البلاد بطميها بفرع واحد من فروع النيل من حيث الجرم ، وفروع النيل خمسة . وهناك أنهار أخرى أيضاً لا تقارن بالنيل فى الحجم وقد كان لها تأثير عظيم ، ويمكننى أن أسمى منها أنهاراً كثيرة ولكن أهمها هو نهر أخيلوؤس [١] الذى يجرى فى أكارنانيا ويصب فى البحر ، وقد أجال نصف جزائر أخيناديس فعلا براً .

١١ — وفى بلاد العرب ، غير بعيد من مصر ، يوجد خليج يتوغل فى الداخل من البحر الذى يسمى بالبحر الأحمر [٢] وهو طويل وضيق جداً كما سأبين

(١) أكبر أنهار بلاد اليونان ، ويفصل اكارنانيا عن أيطوليا .

(٢) البحر الأحمر عند اليونانيين الأقدمين يعنى البحر الأحمر الحالى والمحيط الهندى والخليج الفارسى ، والتسمية فى الأصل مصرية ، نسبه إلى لون الرمال فى الغالب

بالوصف . فمن يبدأ برأس الخليج ويمضى قدماً فى عرض البحر يستغرق أربعين يوماً فى عبوره طولا مستخدماً المجاذيف ، فى حين أن اجتيازه عرضاً يستغرق إبحار نصف يوم فى أوسع جزء من الخليج . ويحدث فيه مدّ وجزر كل يوم ، ويخيّل إلى أن مصر نفسها كانت فيما مضى خليجاً آخر مثل هذا ، وأن أحدهما كان يمتد من البحر الشمالى صوب الحبشة[1] ، فى حين أن الآخر يمتد من البحر الجنوبى صوب سورية . وإن رأسيهما ليكادان يتقابلان الواحد بالآخر ، لا يفصلهما إلا رقعة ضيقة من الأرض . فإذا عن للنهر أن يوجه مجراه نحو الخليج العربى فماذا يمنع هذا من أن ييبس بتأثير النهر فى عشرين ألف عام ؟ إنى شخصياً أعتقد أنه لو حدث ذلك لييس الخليج فى عشرة الآف عام . فكيف إذن لا ييبس خليج أكبر من هذا بكثير بتأثير نهر على هذه الضخامة وعلى هذا الدأب فى كل الزمان الذى انقضى قبل أن أولد ؟

١٢ — وإنى لا أصدق ماقيل عن مصر فحسب بل ، إنى شخصياً شديد الاعتقاد بأن ذلك ماحدث فعلا . فقد لاحظت أن مصر تمتد داخل البحر أكثر من الأراضى المتاخمة لها ، وأن أصداف البحر توجد على الجبال ، وأن طبقة ملحية تتكون على سطح الأرض حتى أن الأهرام نفسها تتآكل بفعلها ، وأن سلسلة الجبال الوحيدة فى مصر التى تغطيها الرمال هى تلك

---

(١) الحبشة عند اليونانيين الأقدمين تعنى كل مايلى مصر جنوباً ابتداء من الشلالات . وتشمل الصومال وايريتريا .

التى تقع فوق منف . ولاحظت علاوة على ذلك أن مصر لا تشبه بلاد العرب التى تتصل بها ، ولا ليبيا ولا سورية أيضاً ، (السوريون يسكنون الجزء الذى يلى البحر من بلاد العرب) بل إن تربتها سوداء مشققة ، لأنها فى الحقيقة طمى متراكم ، محمول من بلاد الحبشة بوساطة النهر ، ونحن نعلم أن تربة ليبيا ضاربة إلى الحمرة ورملية بعض الشىء فيما يلى السطح فى حين أن أرض بلاد العرب وسورية صلبة بعض الشىء وصخرية .

١٣ — ولقد حدثنى الكهنة بالبرهان القوى التالى على أن ذلك هو تكوين تلك البلاد ، قائلين إن النهر فى عصر الملك موريس كان يروى من مصر الجزء الذى يلى منف كلما بلغ ارتفاعه ثمانية أذرع فحسب ، ولم تكن قد مضت على موت موريس هذا تسعمائة عام عندما سمعت أنا هذه المعلومات من الكهنة . أما فى الوقت الحاضر فإذا لم يرتفع النهر أربعة عشر أو خمسة عشر ذراعاً على الأقل لا يغمر البلاد . ويخيل إلى أنه إذا استمرت الأرض فى الزيادة في الارتفاع بهذه النسبة واستمرت كذلك فى الزيادة فى الاتساع ، فسوف يعانى المصريون الذين يعيشون فيما يلى بحيرة موريس وخصوصاً فى المنطقة التى تسمى بالدلتا ، الى آخر الزمان نفس المصير الذى كانوا هم أنفسهم يقولون إن اليونانيين سيلاقونه يوماً من الأيام . ذلك أنهم عندما علموا أن كل بلاد اليونان ترويها الأمطار فحسب ، ولا ترويها الأنهار كما هو الحال عندهم ، قالوا إنه سوف يخيب أمل اليونانيين العظيم يوماً ما ويجوعون جوعاً شديداً . وهذا يعنى أنه اذا لم يشأ الإله أن ينزل عليهم

الغيث ، بل شاء أن يهرأهم بالجفاف المتصل ، فسوف يهلكون جوعاً ، فليس لهم من مصدر واحد آخر للماء إلا زيوس فحسب .

١٤ — إن ما يقوله المصريون بشأن اليونانيين صحيح ، ولكن دعني أتحدث عن موقف المصريين أنفسهم إذا حدث ، كما قلت آنفاً ، أن الأرض فيما يلي منف (وهي الأرض التي تزيد في الارتفاع) زادت في الارتفاع بنفس النسبة التي درجت عليها في الماضي . فماذا عساه يحدث للمصريين الذين يسكنون هذه البقاع — إذ الأرض لا ترويها الأمطار ، والنهر غير قادر على أن يفيض على الحقول — إلا أن يموتوا جوعاً ؟ هذا مع أنهم الآن يجنون محصولهم من الأرض بغاية اليسر بجهود أقل مما تبذله الشعوب الأخرى بما فيهم سائر المصريين . فهم لا يجهدون في شق الخطوط بالمحراث ولا في تفتيت التربة ولا يقومون بأي عمل من الأعمال التي يشقى بها سائر الناس من أجل الغلة . بل إن النهر يفيض عندهم من تلقاء نفسه ، ويروي الحقول ثم ينحسر ثانية بعد ريها ، وعندئذ يبذر كل فردٍ حقله ، ويطلق فيه الخنازير ، لتدوس البذور فتغرسها ثم ينتظر الغلة ويخزنها بعد أن تدرس الحبوب بواساطة الخنازير .

١٥ — والآن ، فإذا أخذنا بآراء الأيونيين فيما يتعلق بمصر ، وهم يذهبون إلى أن مصر هي الدلتا فحسب ، وأن شاطئها يمتد من المرقب الذي يسمى باسم برسيوس إلى ملاحات الأسماك على الفرع البيلوزي وهي مسافة أربعين سخينوسا ، وأنها تمتد من البحر في الداخل حتى مدينة

كركاسوروس[١] التى يتفرع النيل عندها إلى الفرعين البيلوزى والكانوبى وأن بقية مصر بعضها ليبيا والبعض الآخر بلاد العرب. إذا أخذنا بهذا القول كان معناه أنه لم يكن للمصريين وطن من قبل. ذلك أن الدلتا كما سبق القول، طمية وحديثة التكوين فعلاً فيما يقول المصريون أنفسهم وفيما أعتقد شخصياً. فإذا لم يكن لهم وطن من قبل على الأطلاق، فلماذا يجتهدون فى تبيان أنهم أقدم الشعوب؟ ولم تكن بهم حاجة إلى إجراء تجربة الطفلين لمعرفة أى اللغات يتكلمان أولا. ومهما يكن من شىء فإنى لا أعتقد أن المصريين نشأوا فى نفس الوقت الذى تكونت فيه الدلتا التى يسميها الأيونيون مصر، بل إنهم كانوا موجودين دائماً منذ الوقت الذى وجد فيه الجنس الإنسانى، وأنه لما امتدت بلادهم تخلف الكثيرون منهم وانحدر الكثيرون تدريجياً إلى الأراضى الجديدة. وعلى كل حال ففى العصر القديم كانت طيبة تسمى مصر، ومحيط طيبة ٦١٢٠ ستاداً.

١٦ — فإذا كانت آراؤنا فيما يتعلق بهذه المسائل صحيحة فالأيونيون غير مصيبين فيما يذهبون إليه بشأن مصر، أما إذا كان رأى الأيونيين هو الصحيح فإنى مبين أن اليونانيين والأيونيين أنفسهم لا يعرفون كيف يحسبون إذ يقولون إن الأرض كلها مقسمة إلى أقسام ثلاثة أوربا وآسيا وليبيا، فعليهم حقاً أن يضيفوا إلى حسابهم دلتا مصر كقسم رابع إذا لم

(١) تسمى الآن صيدية، ورأس الدلتا يقع الآن إلى الجنوب من هذا الموضع بمقدار ستة أميال. والكلمة مصرية تعنى «تمزيق أوزيريس»

تكن جزءاً من آسيا ولا جزءاً من ليبيا . والنيل ، بحسب قولهم هذا ، ليس هو الذى يفصل آسيا عن ليبيا ، والنيل يتفرع عند رأس هذه الدلتا ، فتكون إذن فى وسطه مشاعاً بين آسيا وليبيا

١٨ — والآن وقد طرحنا رأى الأيونيين جانباً فلندلى نحن بما نرى من أن مصر هى كل البلاد التى يسكنها المصريون ، كما أن كيليكية[١] هى البلاد التى يسكنها الـكيليكيون، وآشور هى البلاد التى يسكنها الآشوريون أما عن الحد الفاصل بين آسيا وليبيا فلا نعرف حداً بالمعنى الحرفى إلا مصر. فإذا أخذنا بالرأى السائد عند اليونانيين فسوف نذهب إلى أن مصر كلها مبتدئة من الشلال ومدينة الفنتين مقسمة إلى قسمين ، ولها الحق فى الأسمين كليهما . فجانب منها جزء من ليبيا والجانب الآخر جزء من آسيا . لأنه من الواضح أن النيل مبتدئاً من الشلال يشطر مصر فى مجراه إلى البحر. والنيل ينساب فى مجرى واحد حتى مدينة كركاسوروس ومن هذه المدينة يتفرع إلى مجارٍ ثلاثة . أحدها ويسمى الفرع البيلوزى ينحرف صوب الشرق ، وأحد هذه المجارى ينحرف صوب الغرب ويسمى هذا الفرع الـكانوبى ، أما الفرع المستقيم من مجارى النيل فينساب على النحو الآتى : عندما يصل النهر فى جريانه ، قدماً إلى رأس الدلتا يشطرها فى الوسط ويصب فى البحر . وكمية الماء الذى يأتى به هذا الفرع أكبرها قدراً وأبعدها شهرة . ويسمي هذا الفرع بالفرع السبنيتى وهناك فرعان آخران

---

(١) فى الجنوب الشرقى من آسيا الصغرى

ينشقان على الفرع السبنيتى ويجريان إلى البحر واسم أحدهما الفرع السايسى والآخر الفرع المنديسى ، أما الفرع البولبيتى والفرع البوكولى فليسا طبيعيين بل صناعيين .

١٨ — وتشهد لى بصحة الرأى فيا ذهبت إليه فى كلامى من أن مصر على هذا الامتداد ، إجابة وحى آمون التى لم أعلم أنها بها إلا بعد أن كنت قد كوّنت رأيى عن مصر : كان أهل مدينتى ماريا وآپيس الذين يسكنون الأجزاء المتاخمة لليبيا من مصر يرون أنهم ليبيون وليسوا مصريين ، وأحنقتهم الطقوس الدينية التى تحرّم عليهم أكل لحوم الأبقار ، فأرسلوا إلى آمون زاعمين أن ليس هناك شىء يجمع بينهم و بين المصريين حيث أنهم يسكنون خارج الدلتا ولا يتفقون معهم فى شىء وأرادوا أن يحلل لهم أكل كل طعام ، ولكن الإله منعهم من ذلك قائلا « إن مصر هى الأرض التى يجرى فيها النيل و يرويها ، وأن المصريين هم الذين يسكنون البلاد مما يلى مدينة الفنتين ، ويشربون من ماء النيل » . هكذا أجابهم الوحى .

١٩ — وعند ما يفيض النيل لا يغمر الدلتا وحدها ، بل يغمر كذلك ما يسمى بالبلاد الليبية و بلاد العرب إلى مدى مسيرة يومين من كلا الجانبين ويزيد أحياناً عن ذلك ، وأحياناً يقل . ولم أستطع أن أستقى معلومات عن طبيعة النهر من الكهنة ولا من أحد غيرهم ، ولقد كنت شديد الحرص على أن أعرف منهم لماذا يأتى النهر فى فيضان مدة مائة يوم مبتدئاً من الانقلاب الصيفى حتى إذا بلغ هذا القدر من الأيام يفيض ماؤه ، وينحسر

ثانية ، ويظل غائضاً طوال الشتاء إلى أن يحين الانقلاب الصيفى ثانية . لم أستطع أن أستقى من المصريين معلومات بشأن مسألة واحدة من هذه المسائل حينما سألتهم عن خاصية النيل التى خالفت بها طبيعته سائر الأنهار . لقد أردت أن أعرف ما يقولون بشأن هذه المسائل ، ولماذا كان النيل النهر الوحيد دون سائر الأنهار الذى لا يثير رياحاً على سطحه .

٢٠ — ولكن بعض اليونانيين وقد أرادوا أن يشتهروا بالحكمة ، ذهبوا فى تفسير ظاهرة مائه ، ثلاثة مذاهب مختلفة ، اثنان منها ليسا جديرين بأن أسجلهما لو لم أكن حريصاً على أن أبين ماهيتهما فحسب . فأحدها يقول إن الرياح الموسمية هى سبب فيضان النيل ، لأنها تمنع النهر من أن يصب فى البحر . ولكن كثيراً ما تكون الرياح الموسمية ساكنة ويظل النيل يعمل عمله ، هذا إلى أنه إذا كانت الرياح الموسمية هى السبب لوجب أن تتعرض سائر الأنهار التى تجرى فى اتجاه مضاد للرياح الموسمية لنفس الظاهرة التى يتعرض لها النيل ، بل تكون أكثر منه تأثراً بها بالنسبة الى أنها أصغر منه فتيارها أضعف.ولكن هناك أنهار كثيرة فى سورية وأنهار كثيرة فى ليبيا لا تتعرض لمثل تلك الظاهرة التى يتعرض لها النيل .

٢١ — والمذهب الثانى أشد من الذى ذكرناه إغراقاً فى الجهل ولكنه أشد منه إثارة للعجب . فهو يقول إن النهر يفيض من المحيط ويأتى بتلك الظواهر ، أما المحيط فيفيض حول الأرض كلها .

٢٢ — أما المذهب الثالث فأقربها جميعاً بكثير إلى التصديق ومع ذلك فهو على التحقيق أكذبها إذ لا طائل البتة تحت ما يذهب إليه من أن النيل يفيض من الثلوج الذائبة فى حين أنه ينساب من ليبيا مخترقاً وسط الحبشة ويفيض فى مصر . فكيف يفيض من الثلوج إذا كان يجرى من بلاد شديدة الحرارة إلى بلاد أبرد منها نوعاً بوجه عام ؟ وأول دليل وأقواه — لمن يستطيع أن يعمل الفكر فى هذه المسائل — على أنه من غير المعقول أن يفيض النهر من الثلوج ، أن الرياح التى تهب من هـذه البلاد تأتى حارة ، والدليل الثانى أن البلاد غير ممطرة ولا بَرَدَ فيها طول العام ، مع أنه بعد سقوط الثلج تهطل الأمطار بالضرورة فى ظرف خمسة أيام . وعلى ذلك فإذا كانت هناك ثلوج كانت هناك أمطار فى تلك الأصقاع . أما الدليل الثالث فهو سكان البلاد إذ أنهم سود بتأثير حرارة الشمس المحرقة . هذا إلى أن الحداءات والسنونة لا تختفى منها طوال السنة فى حين أن الـكراكى تهرب من الجو البارد الذى تتعرض له فى إقليم سكيثيه وترحل دائماً إلى هذه الجهات لتمضية الشتاء .

وإذن فإذا كانت الثلوج تسقط ولو بقدر ضئيل جداً فى تلك البلاد التى ينساب منها النيل ويبدأ منها فى فيضانه ، ماحدث شىء من هذا كما تقضى الضرورة المنطقية .

٢٣ — أما من يعلل الفيضان بنظرية المحيط فيأتى بأساطير مبهمة لاتنطوى على برهان . وأنا شخصياً لست متيقناً أن نهر الأوقيانوس موجود

فعلا . ويخيل إلى أن هومروس أو أحد الشعراء الذين سبقوه اخترع هذا الاسم وأدخله في الشعر .

٢٤ — والأن فإذا كان من الواجب على بعد أن دحضت الآراء التى قدمتها أن أبين رأيي في هذه الأمور المبهمة فإنى سأبين لماذا يفيض النيل فى الصيف فى رأيي ففى فصل الشتاء تندفع الشمس بفعل الأعاصير من مدارها المعتاد وتذهب إلى أجواز ليبيا العليا . وهذا هو تعليلي بأ كمله مبينا فى اختصار شديد . إذ من الطبيعى أن تكون البلاد التى يكون هذا الاله قريبا جداً اليها ومحلقاً فوقها ناضبة الماء ، وأن تكون جداول أرضها على الأخص غائضة دون سائر الأنهار .

٢٥ —أما تعليلي مبينا بالتفصيل فهكذا : إن الشمس فى مسيرها فوق الجهات العليا من ليبيا يكون تأثيرها على النحو الآتى : حيث أن الهواء يكون طوال السنة فى تلك المناطق صافياً ، والأرض ساخنة ، وليس هناك من رياح باردة ، فالشمس تؤثر كما اعتادت أن تؤثر وقت الصيف حينما تسير فى وسط السماء ، أى أنها تجذب المياه اليها وتدفع بها ، بعد أن تجذبها ، إلي المناطق العليا من البلاد . وهناك تستحوذ عليها الرياح وتفرقها وتبددها ، ولذلك فالرياح التى تهب من هذه البلاد أى الجنوبية والجنوبية الغربية هى أغزر الرياح أمطاراً بكثير . ولكن يبدو لى أن الشمس لا تتخلص من كل ماء النيل الذى تجذبه كل سنة بل تبقى بعضه بجوارها . وحينما يعتدل الشتاء ، ترجع الشمس إلى وسط السماء ثانية ، ومنذ ذلك الوقت تجتذب المياه من كل

الأنهـار على السواء ، وفى هـذه الأثناء تفيض هـذه الأنهار بمياه غزيرة لـكثرة مقادير الأمطار التى تختلط بهـا وذلك لهطول الأمطار فى البلاد وامتلائها بالأخوار ، أما فى الصيف فتقل مياهها لأنها تفقد مورد الأمطار ولأن الشمس تمتص مياهها . وحيث أن النيل لاتغذيه الأمطار ، والشمس فى نفس الوقت تمتص مياهه ، فقد ترتب على ذلك أن كان النيل النهر الوحيد الذى ينساب فى هذا الفصل وقد قل ماؤه كثيراً عن مقداره الطبيعى أى أقل من مقداره فى الصيف ، ففى الصيف تجذب الشمس ماءه بالنسبة التى تجذب بها مياه سائر الأنهار . فى حين أنه يتعرض لها وحده فى الشتاء ، ولذلك فإنى أعتقد أن الشمس هى سبب هذه الظاهرات .

٢٦ — والشمس ، وهى تلفح الهواء فى خط سيرها ، هى أيضا ، فى رأيى ، السبب فى أن الجو فى هذه المناطق عديم الرطوبة حتى أن الصيف حال باستمرار فى المناطق العليا من ليبيا . ولـكن إذا تغيرت مواقع الشمس فى الفصول وإذا أصبح جوز السماء ـ الذى تقع فيه الآن الرياح الشمالية والشتاء — موقع الرياح الجنوبية والصيف فى حين تصبح الرياح الشمالية واقعة حيث تقع الآن الرياح الجنوبية ، فى هذه الحالة ، كانت الشمس ـ وقد أزاحها الشتاء والرياح الشمالية عن وسط السماء ـ تزور المناطق العليا من اوروبا كما تزور الآن المناطق العليا من ليبيا ، وأعتقد أنها فى مسيرها عبر اوروبا كلها كانت تؤثر فى نهر الطونة نفس التأثير الذى تحدثه فى نهر النيل

٢٧ — أما عن مسألة الرياح التى لاتهب على سطح النهر فرأيى أنه

من غير الطبيعى أن يهب ريح ما من جهات شديدة الحرارة . فالرياح عادة تهب من جهة باردة .

٢٨ ــ والآن فلتبق هذه المسائل إذن كما هى وكما كانت منذ البدء . ولم يدع احد عن المصريين أو الليبيين أو اليونانيين الذين تحدثوا معى ، أنه يعرف شيئاً من منابع النيل إلا مسجل الخزائن المقدسة لآثينة فى مدينة سايس[(١)] فى مصر. وقد بدا لى أن الرجل يهزل حينما قال إنه يعرف الحقيقة على وجه الدقة . وقد تحدث بما يلى : فى الوسط بين مدينتى سيين (أسوان) فى مقاطعة طيبة والفنتين يوجد تلان يرتفع رأساهما فى قلتين مدببتين واسم أحد هذين التلين « كروفى » والآخر « موفى »[(٢)] . ومن بين هذين التلين تتفجر منابع النيل وهى ليست بذات قرار . وينحدر نصف الماء نحو مصر شمالا ، والنصف الآخر نحو الحبشة جنوباً . وقال إن بسماتيك ملك مصر أثبت بالتجربة أن المنابع لا يسير لها غور ، فقد جاء بحبل مجدول طوله ألف باع وأدلى به فى هذا المكان فلم يبلغ القاع . وهكذا بين هذا المسجل ، فيما أظن ، إذا كان ما قرره قد حدث فعلا ، أنه توجد هناك دوامات قوية وتيارات مضادة بدرجة أن المسبار ، وقد كانت المياه تدفعه إلى جوانب الجبل ، لم يستطع حينما أدلى أن يبلغ القاع .

---

(١) كانت سايس عاصمة الأسرة السادسة والعشرين . ومركز عبادة الإلهة نيث.

(٢) الكلمتان مصريتان « كروفى » قد يكون معناها كهف النيل « وموفى » ماء النيل . والرأى الذي أدلى به المسجل قديم وقد ظل سائداً إلى أواخر العصر الرومانى .

٢٩ — ولم أستطع أن أقف على شيء من أحد غيره . ولكنى اكتسبت المعلومات الآتية بعد أن وصلت بأبحاثى إلى أبعد مدى ، فزرت البلاد حتى مدينة الفنتين مشاهداً ، واكتسبت معلوماتى عما وراء هذه المدينة بالسماع . فمن الفنتين تكون البلاد مرتفعة للواغل فيها صُعُداً حتى انه ليتحتم ربط القارب من طرفيها كالثور قبل التقدم بها فإذا انقطع الحبل ذهبت القارب محموله بقوة التيار . وفى هذه المنطقة ، وهى مرحلة أربعة أيام فى القارب ، يكون النيل متعرجاً مثل نهر النياندروس . والمساحة التى عليك أن تقطعها على هذا النحو هى أثنا عشر سخينوس . و بعدئذ تصل الى سهل منبسط يدور النيل فيه حول جزيرة ، واسم هذه الجزيرة تاخومبسو .[1] ويقطن الأحباش المنطقة التى تلى مدينة الفنتين مباشرة ، وهم يسكنون نصف الجزيرة ويسكن المصريون نصفها الثانى . وتتاخم هذه الجزيرة بحيرة عظيمة يعيش حولها أحباش رحل ، فإذا جزتها وصلت إلى مجرى النيل الذى يصب فى هذه البحيرة . و بعد ذلك تهبط البر وتقطع مرحلة أربعين يوماً بحذاء النهر . ذلك أنه توجد فى النيل صخور حادة وجنادل كثيرة لا تتيسر بسببها الملاحة فى النهر . فإذا اجتزت هذه المنطقة فى هذه الأيام الأربعين ، تركب سفينة أخرى من جديد ، وتبحر اثنى عشر يوماً تصل بعدها إلى مدينة عظيمة اسمها مروى ، ويقال إن هذه المدينة هى عاصمة سائر الأحباش وسكان هذه المدينة يعبدون زيوس وديونيسوس

(١) لعلها جزيرة زرار جنوبى أسوان وتسمى فى اللغة المصرية « تمسة » .

فقط ، وهم يعظمونهما تعظيماً شديداً ، ويوجد عندهم وحى لزيوس . وهم يسيرون للحرب كلما أمرهم هذا الإله بوساطة الوحى وإلى حيث يأمرهم يتوجهون .

٣٠ — فإذا أبحرت من هذه المدينة مدة أخرى مساوية للمدة التى قضيتها فى مجيئك من الفنتين إلى عاصمة الأحباش ، فستصل إلى الفارين ، واسم هؤلاء الفارين « أسماخ » وهذه الكلمة تعنى فى اللغة اليونانية « الذين يقفون ناحية يد الملك اليسرى » . ويبلغ هؤلاء مائتى وأربعين ألف مصرى من طبقة الجند وقد فروا إلى الأحباش للسبب الآتى : فى عهد الملك بسماتيك وضعت الحاميات واحدة فى مدينة الفنتين تجاه الأحباش وأخرى فى دافناى[1] بالقرب من بيلوزيوم — تجاه العرب والسوريين ، وأخرى فى ماريا تجاه ليبيا . والحاميات الفارسية موجودة إلى أيامنا هذه فى هذه الأماكن كما كانت فى عهد بسماتيك ، فالفرس يقومون بالحراسة فى الفنتين وفى دافناى . ظل هؤلاء المصريون إذن يقومون بالحراسة ثلاث سنوات فى الفنتين ولم يأت أحدٌ ليعفيهم من هذه الحراسة . وبعد أن تشاور هؤلاء واستقروا على رأى واحد ، ثاروا على بسماتيك وذهبوا إلى الحبشة . ولما علم بسماتيك بالأمر اقتفى أثرهم ، ولما لحق بهم حاول طويلا أن يقنعهم

---

(١) أحد الحصون المصرية فى وجه الفرس . وقد كشفت على بعد عشرة أميال غرب القنطرة . وظهر أن طول المعسكر فيها كان ٦٢٥ ياردة وعرضه ٤٠٠ ياردة . وهى تسمى فى العهد القديم تحفنحيس .

بألا يهجروا آلهة آبائهم ، وأولادهم ونساءهم . ويقال إن أحدهم أشار إلى عورته وقال ما دامت هذه موجودة فسيكون لهم هناك أولادٌ ونساء . ولما وصلوا إلى الحبشة وضعوا أنفسهم رهن مشيئة ملك الأحباش وهذا كافأهم على النحو الآتى : كان بعض الأحباش مختلفين معه ، فأمر المصريين أن يطردوهم ويسكنوا أرضهم . ولما نزل هؤلاء بين الأحباش صار الأحباش أكثر تمديناً بعد أن أخذوا العادات المصرية .

٣١ — فالنيل إذن معروف الى مدى مرحلة أربعة أشهر فى البر والبحر فضلا عن مجراه فى مصر . ذلك إنك إذا حسبت وجدت أن هذه هى الأشهر التى تقضيها فى رحلتك من الفنتين إلى هؤلاء الفارين . ويجرى النيل من الغرب والشمس الغاربة . ولا يستطيع أحد أن يخبر عن يقين عما وراء هذه المنطقة لأن هذه البلاد مقفرة لشدة حرارتها .

٣٢ — ولكنى سمعت الرواية التالية من بعض القورينائيين . فقد قالوا لى إنهم زاروا مهبط وحى آمون ودخلوا فى حديث مع ايتيارخوس[1] ملك الآمونيين . وفى أثناء الكلام فى مسائل مختلفة انساق الحديث إلى النيل وكيف أن أحداً لا يعرف منابعه . فقال ايتيارخوس إنه قد زاره ذات مرة بعض الرجال من النسامونيين (وهؤلاء قبيلة ليبية تسكن منطقة خليج سدرة والبلاد التى تليه شرقاً إلى أمد غير بعيد) ولما دخل عليه النسامونيون وسألهم إذا كان لديهم معلومات جديدة عن صحراء ليبيا ، قالوا

(١) قد يكون الإسم تحريفاً للاسم النوبى تهراقا .

إن عندهم نفرٌ من أبناء الأعيان هوج ، لما بلغوا مبلغ الرجال قاموا بمخاطرات خارقة منها أنهم اختاروا من بينهم بالاقتراع خمسة لمعاينة صحراء ليبيا ليروا إذا كان فى مقدورهم أن يروا شيئاً أكثر مما رأى الذين عاينوا أبعد الآماد . (فى هذه الأجزاء من ليبيا التى تقع على البحر الشمالى مبتدئة من مصر وممتدة إلى رأس سولوجس (١) وهوآخر حدود ليبيا ، ينتشر كثير من القبائل الليبية على طول ساحل البحر ، وليبيا فيما وراء الشعوب التى تصل بلادها إلى البحر مليئة بالحيوانات المفترسة ، فى حين أنها فيما يلى الأجزاء التى تغشاها الحيوانات المفترسة صحراء رملية لاماء فيها البتة وجرداء للغاية .) هؤلاء الشبان حينما أرسلهم أقرانهم مزودين كما ينبغى بالماء والمؤن اخترقوا أولا البلاد المأهولة،و بعد أن جاوزوها وصلوا إلى البلاد التى تغشاها الحيوانات المفترسة وجاوزوها إلى الصحراء متخذين طريقهم صوب الغرب و بعد أن ساروا أياما كثيرة فى صحراء رملية شاسعة رأوا أخيراً أشجاراً فى سهل باسقة ، فلما وصلوا إليها شرعوا يقطفون ما عليها من ثمار ، فما لمسوها حتى جاءهم رجال قصار أضأل من الرجل العادى ، وقبضوا عليهم وساقوهم أسرى . ولم يفهم النسامونيون شيئاً من لغتهم ولا فهم آسروهم شيئاً من لغة النسامونيين . وساقوهم عبر مستنقعات واسعة فلما جاوزوها وصلوا إلى مدينة كل من فيها فى حجم آسريهم وفى لونهم ، سود . و بجوار هذه المدينة ينساب نهرٌ كبيرٌ يجرى من الغرب إلى الشمس المشرقة . وترى فيه التماسيح

(١) هو رأس سبارتل الآن أو رأس كانتن

٣٣ — ولأكتفى الآن بهذا القدر من قصة ايتيارخوس الآمونى ، إلا أنه قرر أن النسامونيين رجعوا سالمين — هكذا أخبرنى القورنيائيون — وإن القوم الذين كانوا قد وصلوا إليهم كانوا جميعاً من السحرة . أما ذلك النهر الذى يجرى بالقرب من المدينة فقد استنتج ايتيارخوس أنه نهر النيل، والدليل العقلى يحملنا على الأخذ بهذا الرأى . ذلك أن النيل ينبع من ليبيا ويشطر ليبيا فى منتصفها ، وهو يبدأ — فيما أستنتج أنا بالاستدلال من المعلوم على المجهول — على بُعد يساوى بُعد نهر الطونة . لأن نهر الطونة يبدأ من عند الكلتيين ومدينة بيرينى وينساب شاطراً أوروبا فى الوسط (الكلتيون وراء أعمدة هرقل وهم يجاورون الكينيسيين الذين يسكنون فى أقصى الغرب من كل سكان أوروبا) . وينتهى مجرى نهر الطونة مخترقاً أوروبا كلها بأن يصب فى البحر فى ذلك الموقع من البحر الأسود الذى أنشأت فيه جالية ملطية مستعمرة ايستريا[١] .

٣٤ — ولقد عرف الكثيرون مجرى نهر الطونة لأنه ينساب فى مناطق مأهولة ولكن ليس فى مقدور أحَد أن يقول شيئاً عن منابع النيل ، لأن ليبيا التى ينساب فيها غير مأهولة وجرداء . ولقد وصفت مجراه إلى أقصى ما بلغت فى أبحاثى وهو يصب فى مصر . وتقع مصر فى مواجهة المناطق الجبلية من كيليكية تقريباً . والمسافة من هنا إلى سينوب وهى على البحر الأسود مسيرة خمسة أيام فى طريق مستقيم للرجل المجد . وتقع سينوب فى

(١) مستعمرة ملطية على البحر الأسود فى اقليم دوبروجه بالقرب من مدينة قسطنجى

مواجهة نهر الطونة حيث يصب فى البحر . لذلك يبدو لى أن النيل يخترق ليبيا كلها و يناظر نهر الطونة . ولنقنع الآن بهذا القدر من الحديث عن نهر النيل .

٣٥ — ولـكنى سأستهل حديثى عن مصر مسهباً . لأنها تشتمل على روائع أكثر من سائر العالم ، وترينا آثاراً تفوق الوصف بالنسبة لسائر البلاد . من أجل هذه الأسباب إذن سأتحدث عنها أكثر من البلاد الأخرى : المصريون نظراً إلى مناخ بلادهم الخاص ، و إلى أن نهرهم له طبيعة خاصة مغايرة لطبيعة سائر الأنهار ، قد اتخذوا لأنفسهم عادات وسنناً مخالفة من كل الوجوه تقريباً لما يتخذه سائر الشعوب. فالنساء عند المصريين يذهبن إلى الأسواق و يمارسن التجارة ؛ أما الرجال فيبقون فى البيوت و ينسجون و ينسج سائر الناس بدفع اللحمة من أسفل إلى أعلى أما المصريون فيدفعونها من أعلى إلى أسفل ، والرجال يحملون الأثقال على رؤسهم أما النساء فيحملنها على أكتافهن . وهم يتغوطون فى بيوتهم و يأكلون فى الخارج فى الطرقات ، محتجين بأن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى فى الخفاء ، أما غير القبيحة فتؤتى جهراً . والمرأة عندهم لاتكون كاهنة لإله أو إلهة ، أما الرجال فمنهم الـكهنة لكل الآلهة والآلهات . وليس عندهم من تكليف يضطر البنين إلى كفالة والديهم إذا لم يشاءوا . والتكليف عام بالنسبة للبنات حتى لو لم يشأن .

٣٦ — وكهنة الآلهة فى كل مكان آخر يطلقون شعورهم ، أما فى مصر

فيحلقونها ، والسنة عند سائر الشعوب فى الحداد أن يحلق الذين يتصل بهم الأمر من قريب رؤوسهم ، أما المصريون فبعد وقوع الموت يطلقون شعورهم على رؤوسهم وأجسادهم وقد كانت من قبل محلوقة . ويعيش سائر الناس بعيداً عن الحيوانات أما المصريون فيعيشون معها . ويعيش سائر الناس على القمح والشعير ، والمهانة العظمى لمن يعيش عليهما من المصريين فهم يصنعون خبزهم من الذرة التى يسميها البعض القمح الوحيد الحبّة وهم يعجنون العجين بالأقدام ، أما الطين فبالأيدى وبها يرفعون الروث ، أما الثياب فللرجل الواحد ثوبان وللمرأة ثوب واحد ، ويربط سائر الناس حلقات الشراع وحبالها من الخارج، أما المصريون فيربطونها من الداخل. ويكتب اليونانيون ويحسبون بعد اليد من اليسار إلى اليمين أما المصريون فيمدونها من اليمين إلى اليسار . وفيما هم على هذا النهج يقولون إنهم يكتبون إلى اليمين ، فى حين أن اليونانيين يكتبون إلى اليسار ، وهم يتخذون نوعين من الكتابة واحدة تسمى عندهم مقدسة والأخرى عامة[1] .

٣٧ — وهم شديدو التقوى — أكثر من سائر الشعوب . وهذه هى السنن التى يتبعونها : يشربون من أقداح برونزية ويغسلونها كل يوم — كلهم بغير استثناء — وهم شديدو الاحتفال بأن تكون الملابس الكتانية التى يلبسونها حديثة الغسل دائما . ويحلق الكهنة كل أجسامهم كل يومين ، لئلا يتولد فيها قمل أو غيره من الحشرات أثناء قيامهم بخدمة الآلهة .

(١) الكتابة المقدسة هى الهيروغليفية والعامة هى الديموطيقية

ويتخذ الكهنة ثيابهم من الكتان وحده وأحذيتهم من البردى . ولا يسمح لهم بلبس غير ذلك من الملابس أو الأحذية . وهم يستحمون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين بالليل . وهم يرعون من الطقوس ما لا يعد ولا يحصى كما نقول . وهم يتمتعون كذلك بامتيازات كثيرة : فهم لايستهلكون ولا ينفقون شيئاً من دخلهم الخاص ، بل يخبز لهم خبز مقدس ، ويعطى كل واحد منهم كل يوم قدر كبير من لحم الثيران والأوز . والخمر التى تقدم لهم مصنوعة من العنب ، ولا يجوز لهم تناول الأسماك . ولا يبذر المصريون الفول فى حقولهم مطلقاً ، ولا يذوقون ماقد ينبت منه نجاً أو مطبوخاً . أما الكهنة فلا يطيقون النظر إليه لأنهم يعتقدون أنه بقل دنس . وليس لكل واحد من الآلهة كاهن واحد — بل كثيرون . وأحدهم هو كبير الكهنة . وحينما يموت واحد من الكهنة، يعين ابنه فى مكانه .

ويعتقدون أن الثيران مقدسة لإيافوس وهم لذلك يفحصونها بالطريقة الآتية : إذا رأى الكاهن شعره واحدة سوداء فى بدن الثور اعتقد أن الحيوان دنس . ويقوم واحد من الكهنة يوكل إليه هذا الأمر بفحص الحيوان حينما يكون الحيوان قائماً مرة وراقداً أخرى ، ويجذب لسانه ليرى إذا كان طاهراً بحسب سيمات معينة سأتناولها بالكلام فى موضع آخر[1] . ويفحص شعر الذيل كذلك ليرى إذا كان الشعر ينبت طبيعياً . فإذا كان الثور طاهراً من كل هذه الوجوه يختمه بأن يلف قطعة من البردى حول

---

(١) فى الكتاب الثالث ، فصل ٢٨ .

قرنيه و يلصقها بصلصال لزج ثم يضع عليها خاتمة . وهكذا يذهبون بالثور. والموت هو العقوبة المقررة لمن يضحى بثور غير مختوم . هذه إذن طريقة فحص الحيوان .

أما طريقتهم فى تضحيته فهكذا : يسوقون الثور المختوم إلى المذبح حيث تكون التضحية ، ثم يشعلون ناراً ، و بعد ذلك يسكبون خمراً على المذبح فوق الضحية ، ثم ينحرون داعين للاله . و بعد نحر الذبيحة يفصلون الرأس أما الجسم فيسلخونه و يأخذونه . و بعد ذلك يستنزلون لعنات كثيرة على تلك الرأس . أما الذين لديهم سوق وتجار يونانيون فى مدينتهم فيحملون الرأس» إليه و يبيعونه فى الحال ، وأما الذين لا يعيش يونانيون بينهم فيلقون بالرأس فى النهر . وهذه هى اللعنات التى يتلونها على الرأس : « إن كانت مصيبة توشك أن تقع للمضحين أنفسهم أو لمصر على العموم فلتقع على تلك الرأس » . و يتبع المصريون كلهم فيما يتعلق برؤس الحيوانات المضحى بها و بتقريب الخمر هذه الشعائر نفسها ، و يطبقونها على كل الذبائح ووفقاً لهذه السنة لا يذوق أحد من المصريين البتة رأس أى كائن ذى روح .

وتختلف عندهم طريقة استخراج أحشاء الضحية وحرقها باختلاف الضحية . وسأبدأ بوصف الطريقة الخاصة بالإلهة[١] التى يعتبرونها أعظم الآلهات و يحيون من أجلها أعظم الأعياد . بعد أن يسلخوا الثور و يفرغوا من الصلوات يخرجون المصارين كلها ، ولكنهم يتركون داخل الجسم

(١) يظهر أن كلمة إيزيس سقطت من النص بعد كلمة إلهة .

الأحشاء والدهن، ثم يقطعون الأرجل وأطراف العجز والأكتاف والرقبة، وبعد أن يقوموا بهذا يملأون بقية جسم الثور خبزاً طاهراً وعسلا وزبيباً وتيناً وبخوراً ومراً وغيرها من الطيب. وبعد أن يملأوه بهذه الأشياء يسكبون عليه زيتاً كثيراً ثم يحرقونه. وهم يصومون قبل التضحية، ويضرب الجميع صدورهم أثناء احتراق الضحية . فإذا ما فرغوا من ضرب صدورهم يوضع أمامهم الطعام وهو ما أبقى عليه من جسم الذبيحة .

ويضحى المصريون كلهم بالثيران والعجول الطاهرة ولا يحل لهم أن يضحوا بالأبقار فهى مقدسة لإيزيس . وتمثال إيزيس على هيئة امراة ولكن له قرنين، على نفس الصورة التى يصور بها اليونانيون إيو[1] ويعظم المصريون جميعاً على حد سواء الأبقار أكثر من سائر الماشية بكثير . ولذلك لا يقبل مصرى أو مصرية يونانياً فى فمه ، ولا يستعمل سكين يونانى أو سفودة أو قِدْرَه، ولا يذوق لحم ثور طاهر إذا كان مقطوعاً بسكين يونانية . وهم يدفنون الثيران النافقة على النحو الآتى : أما الأناث فيلقونها فى النهر وأما الذكور فيدفنها سكان كل اقليم فى اقليمهم ويدعون قرناً أو القرنين معاً بارزين حتى يكونا علامة على مكان الدفن . وعندما تتحلل الجثة ويأتى اليوم المعلوم تصل إلى كل مدينة سفينة من الجزيرة التى تسمى

---

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن زيوس أحب أيو فغارت زوجه هيرا ومسخت إيو بقرة . وظلت هذه تنتقل على هذا الحال من أوربا إلى آسيا إلى أن حطت رحالها في مصر وفيها استعادت هيئتها الأولى وأنجبت إبافوس .

بُروسو بيتيس[١] وهى فى الدلتا ومحيطها تسعة سخينوس . وفى جزيرة بروسو بيتيس هذه توجد مدن كثيرة ، أما المدينة التى تأتى منها السفن لتحمل عظام الثيران فاسمها مدينة أتار بيخيس[٢] وفيها يقوم معبد أفروديت المقدس . ومن هذه المدينة يرحل أقوام فيذهب كل رهط منهم إلى مدينة ، و يستخرجون العظام ويذهبون بها ويدفنونها معاً فى مكان واحد . وهم يدفنون سائر الأنعام النافقة بنفس الطريقة التى يدفنون بها الثيران . سُنّ على ذلك عندهم بشأن الأنعام أيضاً ، وهم لا يذبحونها .

٤٢ — و يتجنب كل الذين يقيمون لديهم معبداً لزيوس الطيبى وأهل إقليم طيبة الأغنام ويضحون بالمعزى . (المصريون لا يعبدون كلهم سواء نفس الآلهة إلا إيزيس وأوزوريس الذى يقولون إنه ديونيسوس ، فكلهم سواء يعبدون هذين الإلهين) . ويتجنب الذين يقيمون لديهم معبداً لمنديس[٣] وأهل إقليم منديس المعزى و يضحون بالأغنام .

و يروى الطيبون والذين ينحون نحوهم فى نبذ الأغنام القصة التالية فى نشأة هذه السنة : « كان هرقل يريد أن يرى زيوس بأية طريقة ، ولم يشأ هذا أن يراه هرقل ، وأخيراً وبعد أن ألح هرقل اهتدى زيوس إلى

(١) جزيرة فى الدلتا حوصر فيها اليونانيون الذين جاءوا لمساعدة إناروس في ثورته ضد الفرس واضطروا إلى التسليم في سنة ٤٥٤ ق . م .

(٢) يدل الجزء الأول من الكلمة على أنها مركبة من كلمة آتور أو هاتور وقد كانت إيزيس تعبد بهذا الاسم .

(٣) منديس هنا تعنى أوزيريس وكان الكبش يعبد فى منديس ولكن اليونانيين ظنوه الماعز

الحيلة الآتية : « سلخ كبشاً وقطع رأسه ، ثم لبس الرأس والفروة وهكذا أظهر نفسه لهرقل » . ولذلك يصوغ المصريون تمثال زيوس ذا وجه كبش . وعن المصريين أخذ الآمونيون ذلك فهم جالية من المصريين ، والأحباش يتكلمون لغة هي وسط بين الإثنين . ومن هنا أخذ الأمونيون — فيما يبدو لى — اسمهم لأن المصريين يسمون زيوس آمونا، ومن أجل ذلك لا يضحى الطيبيون بالكباش فهى عندهم مقدسة . وهم يذبحون كبشاً واحداً فى يوم واحد من السنة فى عيد زيوس ويسلخونه ويُلبسون تمثال زيوس كما جاء فى القصة ، ثم يحضرون إليه تمثالا آخر يصور هرقل. وبعد أن يأتوا هذا ، يضرب كل من يحفون بالمعبد صدورهم حزناً على الكبش ثم يدفنونه فى فى قبر مقدس .

٤٣ — ولقد سمعت رواية عن هرقل تقول إنه أحد الآلهة الإثنى عشر ولكنى لم أستطع أن أعرف شيئاً فى أى مكان من مصر عن هرقل الآخر الذى يعرفه اليونانيون . ولدى براهين كثيرة على أن المصريين لم يأخذوا عن اليونانيين اسم هرقل بل أخذته عن المصريين تلك الطائفة من اليونانيين التى تطلق اسم هرقل على ابن أمفيتريون . وإنى أخص بالذكر منها هذا البرهان وهو أن امفيتريون والكمينا أبوى هرقل هذا كانا كلاهما مصرى المولد . ويقول المصريون إنهم لا يعرفون اسم پوزيدون ولا ديوسقورى[1] وأن هذين لم يعترف بهما إلهين بين سائر الآلهة عندهم فلو أنهم كانوا قد أخذوا

(١) الكلمة تعنى فى اليونانية إبنى زيوس وهما كاستور ويوللوكس .

عن اليونانيين اسم أى إله لاحتفظوا بذكر هذين قبل سواهما . ولقد كان المصريون حتى فى ذلك العصر يمارسون الملاحة كما اعتقد وكما يهدينى الفكر وكان بعض اليونانيين ملاحين ، فكان الأولى بالمصريين أن يعرفوا إسمى هذين الإلهين لا اسم هرقل . لا . إن هرقل إله قديم جداً عند المصريين ، فانهم كما يقولون أنفسهم يعتبرون هرقل واحداً من الآلهة الإثنى عشر التى نشأت عن الآلهة الثمانية قبل حكم أمازيس بسبعة عشر الف عام .

٤٤ — ولقد أردت أن أستقى معلومات دقيقة عن هذه المسائل من الذين يفقهونها ، فأبحرت إلى صور فى فينيقية إذا علمت أن هناك معبداً مقدساً لهرقل[١] . ولقد رأيته مزداناً بكثير من النصب من بينها عامودان أحدهما من الذهب المصقول والآخر من الزمرد وهو ضخم الحجم ينير فى الليل ، وبعد أن دخلت فى حديث مع سدنة الإله سألت كم من الزمان انقضى منذ أقيم عندهم المعبد . ولكنى وجدت أن هؤلاء أيضاً لا يتفقون مع اليونانيين لأنهم يقولون إن معبد الإله أقيم يوم أنشئت صور ، وأنه قد انقضى على إنشاء صور ألفان وثلثمائة عام . ولقد رأيت فى صور معبداً آخراً لهرقل يحمل اسم الثاسوسى . ومن ثم رحلت إلى ثاسوس فوجدت فيها معبداً لهرقل أقامه الفينيقيون الذين أسسوا ثاسوس أثناء تجوالهم فى البحث عن أوربا وكان ذلك قبل ميلاد هرقل ابن امفيتريون فى بلاد اليونان بخمسة أجيال كاملة . هذه الأبحاث إذن توضح بجلاء أن هرقل إله قديم . وهكذا يخيل

---

(١) هو الإله ملقرت فى صور

إلى ان الطائفة من اليونانيين الذين شيدوا واقاموا معبدين لهرقل يضحون للأول بصفته أزلياً و يلقبونه بهرقل الاوليمبي، و يقدمون القرابين للثانى بصفته بطلاً ، على غاية من الصواب .

٤٥ — و يروى اليونانيون قصصاً كثيرة بغير تدبر منها هذه القصة السخيفة التى يروونها عن هرقل : إذ يحكى ان هرقل جاء الى مصر فكلل المصريون رأسه وزفوه في موكب ليضحوا به لزيوس . اما هو فقد اعتصم بالصمت برهة ولما بدأوا يقيمون طقوس التضحية أمام المذبح لجأ إلى قوة بأسه وقتلهم جميعاً . ويبدو لى أن اليونانيين يبدون بقولهم هذا جهلهم العميم بطبيعة المصريين وعاداتهم . فكيف يجوز لقوم لا تحل لهم التضحية بالحيوان الا الخنازير والثيران والعجول ما كان منها طاهراً والأوز ، أن يضحوا بآدميين ؟ وكيف يتأتي لهرقل وهو بعد فردٌ آدمى كما يقولون أن يقتل كل هذه الألوف ؟ ولنكتفى بهذا القدر من الحديث فى هذه المسائل وليكن حديثنا مقبولا لدى الآلهة والأرباب .

٤٦ — ولا ينحر المصريون الذين أسلفت ذكرهم الماعزة أو الماعز للأسباب الآتية : يقول أهل منديس إن پان أحد الآلهة الثمانية الذين كانوا فى زعمهم قبل الآلهة الإثنى عشر . ويرسم المصورون والمثالون صورة پان ويحفرونها كما هو الأمر عند اليونانيين ذات وجه ماعزة ورجلى ماعز ولو أنهم لا يعتقدون أنه على تلك الهيئة بل يشبه سائر الآلهة . أما السبب الذى يصورونه من أجله على تلك الهيئة فأكثر طرافة عندنا من أن نهمل ذكره،

يقدس أهل منديس كافة المعزى ولـكن الذكور منها أكثر من الإناث ورعاة الذكور يحظون بتعظيم أكثر من رعاة الإناث . ويقدس واحد من الذكور بوجه خاص ، فإذا مات يعم الحداد العظيم كل إقليم منديس . وفى مصر يسمى الماعز وپان كلاهما بمنديس .

٤٧ — ويرى المصريون أن الخنزير حيوان دنس . فأولا ، إذا لامس واحد أثناء عبوره خنزيراً ذهب إلى النهر وألقى فيه بنفسه بملابسه من فوره. وثانياً ، رعاة الخنازير ، مع أنهم مصريى المولد ، لا يدخلون دون سائر المصريين معبداً واحداً من جميع معابد مصر ، ولا يرضى أحد أن يزوجهم من ابنته . أو يتخذ منهم زوجاً ، بل إن رعاة الخنازير يتزاوجون فيما بينهم . والآن ، فمع أن المصريين لا يوافقون على نحر الخنازير لسائر الآلهة فإنهم ينحرونها لسيليني وديونيسوس وحدهما فى وقت واحد وذلك عند ما يكون القمر بدراً ، وبعد نحرها يأكلون لحمها . أما لماذا يكرهون الخنازير فى سائر أعيادهم ، وينحرونها فى هذا العيد ، فلا يجوز لى أن أذكر السبب الذى يتحدث به المصريون ، ولو أنى عالم به . وعتر الخنازير لسيليني يكون على النحو الآتى : عند ما يعترها العاتر يضع طرف الذيل والطحال والغشاء المهبلى بعضها مع بعض ثم يلفها معاً بكل ما يوجد حول بطن الحيوان من دهن ، ثم يحرقها قرباناً . ويؤكل باقى اللحم فى البدر الذى تقرّب فيه العتيرة . ولا يذوقونه البتة فى سائر الأيام . أما الفقراء منهم فلقلة مواردهم يصورون من العجين خنزيراً ويخبزونه ثم يقدمونه قرباناً .

٤٨ — وفى ليلة العيد ينحر كل واحد أمام بيته عفراً لديونيسوس ثم يرده إلى الراعى الذى باعه إياه ليأخذه . ويحيى المصريون سائر شعائر العيد لديونيسوس بطريقة تشبه الطريقة المتبعة فى بلاد اليونان من جميع الوجوه تقريباً ، فيما عدا الرقص ، وبدلا من المذاكير ابتكروا تمثالا طوله ذراع يتحرك بوساطة خيط يحمله النساء ويطفن به فى القرى . ويكون الذكر متحركا ولا يقل كثيراً فى حجمه عن الجسم كله . ويتقدم الزمار الموكب ، وينشد النساء اللائى يتبعنه المدائح لديونيسوس . وهم يدلون بقصة دينية تبين لماذا كان الذكر كبير الحجم ، ولماذا يتحرك دون سائر الجسم .

٤٩ — ويبدو لى أن ميلامپوس [١] بن أنيثيون لم يكن جاهلا بهذا العيد ، بل كان عالما به . فميلامپوس كان أول من أدخل فى بلاد اليونان اسم ديونيسوس [٢] وعيده وموكب الذكر ، وهو لم يفهم على وجه الدقة العقيدة التى بشر بها بحذافيرها . ولكن الفقهاء الذين تلوه أوضحوها أحسن منه . ومهما يكن من شىء ، فإن ميلامپوس هو أول من أدخل الذكر الذى يحمل فى موكب ديونيسوس . وعنه أخذ اليونانيون ما يعملون . وإنى أقرر أن ميلامپوس كان رجلا حاذقاً ، وضع لنفسه طريقة للعرافة ، وأنه تعلم من مصر أشياء كثيرة مختلفة أدخل منها فى بلاد اليونان شعائر ديونيسوس مع

---

(١) كان اليونانيون يعتقدون أن ميلامپوس أخذ الحكمة عن الحية ، وعن وحى أبوللو ، وهو فى زعمهم أقدم الحكماء والعرافين .

(٢) جاءت عبادة ديونيسوس من الشمال لا من فينيقية كما يقول .

تعديل بسيط . وإنى لن أقر بحال أن شعائر ديونيسوس فى مصر وفى بلاد اليونان متفقة بمحض المصادفة . فلو كان الأمر كذلك لكانت شعائر ديونيسوس فى بلاد اليونان تحمل طابع العادات اليونانية ، وما كانت حديثة الدخول فيها . لا ولن أقول إن المصريين أخذوا هذه السُنَّة أو أى سنَّة غيرها عن اليونانيين . والرأى عندى على وجه التحقيق أن ميلامپوس تعلم شعائر ديونيسوس من قادموس[١] الصورى ومن أولئك الذين ارتحلوا معه من فينيقية إلى البلاد التى تدعى الآن بيوشيا .

ولقد جاءت أسماء الآلهة كلها تقريباً إلى بلاد اليونان من مصر . فأما أنها قد أتتنا كلها من الأجانب فأمر قد حققته بالبحث ، ويبدو لى أن أكثرها جاء من مصر . ذلك أن أسماء الآلهة فيما عدا اسمى پوزيدون والديوسقورى — كما بينت آنفاً — واسماء هيرا وهيستيا ، وثميس ، وخاريتيس ونيريديس[٢] ، كانت دائماً منذ قديم الزمان فى أرض مصر . وإنى أقرر هنا ما يذكره المصريون أنفسهم . أما أسماء الآلهة التى يقولون إنهم يجهلونها فيبدو لى أن البيلاسجيون هم الذين أسموها ، فيما عدا پوزيدون فقد عرفوا هذا الإله من الليبيين . إذ أن اسم پوزيدون لم يوجد

(١) هو إبن ملك فينيقية ، وكان اليونانيون يعتقدون بحق أن الحروف الهجائية جاءتهم من فينيقية .

(٢) هيرا زوج زيوس كبير الآلهة ، وهيستيا — عند الرومان فستا — هى ربة نار المنزل الموقدة ، وثميس آلهة القانون والنظام ، وخاريتيس هن آلهات الرشاقة والجمال ، والنيريديس كن خمسين من آلهات البحر .

منذ البدء عند قوم غير الليبين الذين كانوا يعظمون هذا الإله دائماً ، ولا يعترف المصريون بالأبطال أيضاً .

٥١ — ولقد أخذ اليونانيون عن المصريين هذه الشعائر وغيرها فضلا عنها مما سآتى على ذكره . ومع ذلك فهم لم يتعلموا من المصريين صناعة تماثيل هرمس ذات الذكر المنتصب فقد كان الآثينيون أسبق اليونانيين كلهم إلى أخذها عن البيلاسجيين ، وعنهم أخذها سائر اليونانيين . فقد حدث في الوقت الذى كان الآثينيون قد اعتبروا فيه فعلا من اليونانيين أن شاركهم البيلاسجيون فى سكنى أرضهم ، ومنذ تلك الحادثة بدأ الاعتراف بالبيلاسجيين كيونانيين .

وكل من دخل فى طقوس الكابيرى[1] السرية التى أخذها الساموثراقيون عن البيلاسجيين ، ويحيونها الآن يفهم ما أعنى . فهؤلاء البيلاسجيون الذين أصبحوا شركاء للآثينيين فى وطنهم كانوا من قبل يسكنون ساموثراقيا . وأخذ عنهم الساموثراقيون طقوسهم السرية . فالآثينيون إذن ، وهم أول من صنع تماثيل هرمس ذات الذكر المنتصب من اليونانيين تعلموا صناعتها من البيلاسجيين . ويروى البيلاسجيون قصة دينية عن هرمس يتجلى مغزاها فى طقوس ساموثراقيا السرية .

(١) آلهة رحيمة مقرها جزيرة ساموثراقيا . وقد أقيم لعبادتها معبد فى منف انتهك قمبيز حرمته عند ما غزا مصر . ويظهر من كلام هيرودوت أنه دخل فى هذه العبادة .

٥٢ — كان البيلاسجيون من قبل — فيما علمت بالسماع فى دودونا يشفعون تضحياتهم كلها بالدعاء لآلهة لم يطلقوا على واحد منها كنية أو اسماً ، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بعد بأسمائها . وسموها آلهة لأنها ترتب كل شىء و بيدها كافة الأقدار . و بعد مضى زمن طويل عرفوا أسماء الآلهة كلها عندما جاءتهم من مصر ما عدا إسم ديونيسوس فقد عرفوه بعد ذلك بزمن طويل . و بعد حين استنبأوا هاتف دودونا بشأن الأسماء ، لأن هذا الهاتف يعتبر أقدم هاتف فى بلاد اليونان وكان حينئذ الهاتف الوحيد فيها . لما استنبأ البيلاسجيون هاتف دودونا عما إذا كان لهم أن يتخذوا الأسماء التى جاءتهم من الأجانب ، أجاب بأن عليهم أن يتخذوها . ومنذ ذلك الحين استعملوا الأسماء اثناء التضحية ، وعن البيلاسجيون أخذها اليونانيون فيما بعد .

٥٣ — ولم يعرف اليونانيون من أين نشأ كل واحد من الآلهة أم هل كانوا جميعاً أزليين وما شكلهم إلا بالأمس أو أول من أمس كما يقولون . و إنى شخصياً أعتقد أن هيسيودوس (١) وهوميروس عاشا قبل زمانى بار بعمائة سنة لا أكثر ، وهما اللذان أثبتا لليونانيين أنساب الآلهة وأطلقا عليها ألقابها وفصلا عباداتها واختصاصاتها ، و بينا أشكالها . و إنى شخصياً أعتقد أن الشعراء الذين يقال إنهم سبقوا هذين قد عاشوا فى الحقيقة بعدهما .

(١) شاعر يونانى من مدينة أسكرا فى بيوشيا عاش حوالى ٧٠٠ ق. م. بعد هوميروس على التحقيق وأهم أعماله هي كتاب « الأعمال والأيام » و « درع هرقل ».

والشطر الأول مما سلف هو مما تذهب إليه كاهنات هاتف دودونا ، أما الشطر الثانى فى هيسيودوس وهوميروس فما أقول به أنا شخصياً .

ويروى المصريون القصة التالية بشأن الهاتفين اللذين يوجد أحدهما فى بلاد اليونان والآخر فى ليبيا . قال كهنة زيوس فى طيبة ان الفينيقيين سرقوا امرأتين مقدستين من طيبة واخذوهما الواحدة إلى ليبيا والأخرى إلى بلاد اليونان حيث بيعتا ، وان هاتين المرأتين هما اللتين أنشأتا الهاتفين أولاً فى الموضعين المذكورين . ولما سألتهم كيف تأتى لهم ان يتحدثوا بهذا العلم الدقيق اجابوا بأنهم لم يستطيعوا العثور عليهما بالرغم من قيامهم من جانبهم ببحث شامل عنهما ، وأنهم عرفوا فيما بعد القصة التى أدلوا بها .

هذا إذن ما سمعته من الكهنة فى طيبة . أما عرّافات دودونا فقد روين ما يلى : « طارت حمامتان سوداوان من طيبة المصرية ، فذهبت إحداهما إلى ليبيا وحطت الأخرى عندهم ، واعتلت هذه شجرة سنديان وأعلنت بصوت آدمى أنه قد أوحى أن يقوم هاتف لزيوس هناك . وفهم القوم أن البشرى ربانية ، وأقاموه وفقاً لهذا الوحى . أما الحمامة التى ذهبت إلى ليبيا فقد أمرت الليبيين بإقامة هاتف آمون وهو خاص بزيوس كذلك » . هذا ما روته كاهنات دودونا ، وتسمى كبراهن برومينيا ، والتى تليها تيماريتى وأصغرهن نيكاندرى . ويوافقهن سائر الدودونيين الذين يتصلون بالمعبد فيما ذهبن إليه .

٥٦ — وهذا هو رأيى الشخصى فى هذه المسائل : إذا كان الفينيقيون قد اقتنصوا هاتين المراتين المقدستين حقيقة ، وباعوا إحداها فى ليبيا والأخرى فى بلاد اليونان ، فيخيل إلى ان الثانية قد بيعت إلى الثيسپروتيين الذين ينتمون إلى ما يسمى الآن بلاد اليونان وقد كانت هى بعينها تسمى فيما سبق بلاد پيلاسجيا . وفيما هى تحيا هناك حياة الرق أقامت تحت شجرة سنديان نامية معبداً لزيوس ، فقد كان من الطبيعى بعد أن خدمت فى معبد زيوس فى طيبة أن تحتفظ بذكراه حيث ذهبت . وبعد أن تعلمت اللغة اليونانية أقامت هاتفاً فى المعبد . وقالت إن أختها قد بيعت فى ليبيا على يد اولئك الفينيقيين الذين باعوها هى أيضاً .

٥٧ — ويبدو لى أن الدودونيين قد سموا المرأتين حمامتين لأنهما كانتا أجنبيتين ، فخيل لهم أنهما تخرجان أصواتاً مثل الطير . وبعد حين قالوا إن الحمامة تتكلم بصوت آدمى وذلك عندما اخرجت المرأة كلاماً لديهم . ولكنها طالما كانت تتكلم لغة أجنبيه بدت كأنها تخرج أصواتاً مثل الطير . كيف يتأتى لحمامة أن تتحدث بصوت آدمى ؟ وهم حين يقررون أن الحمامة كانت سوداء يبينون أن المرأة كانت مصرية . وتتشابه طرق الاستنباء عند الهاتف الذى فى طيبة وذلك الذى فى دودونا . ولقد جاءت العرافة عن طريق النظر فى أحشاء الضحية من مصر كذلك .

٥٨ — ولقد كان المصريون ولا شك أسبق الشعوب إلى إقامة

الأعياد والمواكب والصلوات ، وعنهم تعلمها اليونانيون . والدليل عندى على ذلك أنها تقام عندهم منذ زمان طويل ولم تحى الأعياد اليونانية إلا حديثاً .

٥٩ — ولا يحيي المصريون العيد مرة واحدة فى السنة ، بل إنهم يحيون أعياداً كثيرة أهمها وأقدسها يقام فى مدينة بوباسطيس لارتميس ويليه ما يقام فى بوسيريس ، ففى هذه المدينة معبد ضخم لايزيس ، وهى تقع فى وسط الدلتا المصرية ، وإيزيس فى اللغة اليونانية هى ديميتير ، وثالثها يقيمونه فى مدينة سايس لأثينة ، ورابعها فى مدينة هليوپوليس لهليوس ، وخامسها فى مدينة بوطون لليطو وسادسها فى مدينة پاپريميس لآريس .

٦٠ — وحينما ييممون شطر مدينة بوباسطيس يسلكون المسلك الآتى: يبحر الرجال والنساء معاً ، ويكون فى كل قارب لفيف كبير من الجنسين ويمسك بعض النسوة بالطبول ويطبلن فى حين يزمر بعض الرجال طوال الرحلة ، أما باقى النسوة والرجال فيغنون ويصفقون. وكلما وصلوا فى طريقهم تجاه مدينة ما ، جنحوا بمركبهم نحو الشاطىء ، ويدأب بعض النسوة على عمل ما قد وصفت ، ويهتف بعضهن بنساء المدينة ويسخرن منهن ، ويرقص بعضهن ، وهم ينهجون هذا النهج عند كل مدينة على شاطىء النهر، وعند ما يصلون إلى بوباسطيس يحيون العيد بتضحيات عظيمة ، ويستهلك من النبيذ فى هذا العيد أكثر مما يستهلك فى بقية العام كله ، ويجتمع لإحياء

هذا العيد من الرجال والنساء دون الصبيان حوالى ٧٠٠ الف نسمة فيما يقول أهل البلاد .

٦١ — هذه إذن هى ستتهم فى هذا العيد ، ولقد وصفت فيما سبق كيف يحيون العيد لإيزيس فى مدينة بوسيريس ، فهناك بعد التضحية ، يضرب الرجال والنساء جميعاً صدورهم ، وهم آلاف كثيرة جداً من الناس، وليس لى أن أذكر على من يحددون . ويتمادى الكاريون[1] المقيمون فى مصر فى تلك الأعمال حتى أنهم ليقطعون وجوههم بالسكاكين وهكذا يظهرون أنهم أجانب وليسوا مصريين .

٦٢ — وعند مايجتمعون للتضحية فى مدينة سايس يشعل كل واحد فى الليل مصابيح كثيرة فى الهواء فى دائرة حول منزله ، وهذه المصابيح عبارة عن صحاف مملوءة بمزيج من الملح والزيت ويطفو على سطحها الفتيل وتشتعل المصابيح طوال الليل ، ومنها أطلق على العيد اسم «عيد المصابيح» . أما الذين لايذهبون من المصريين إلى الاحتفال فيحرصون على أن يشعلوا هم أنفسهم أجمعين المصابيح فى ليلة التضحية . وهكذا فالعيد لايقام فى سايس وحدها بل فى مصر كلها . وهم يروون قصة دينية تبين السبب الذى من أجله تقدس هذه الليلة وتضاء .

٦٣ — ويقرّب الذين ييممون شطر مدينة هليوپوليس وبوطو التضحيات فحسب . أما فى پاپريميس فيقربون التضحيات ويحيون الشعائر

(١) من مقاطعة كارية فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى .

كما فى سائر البلاد . وحينما تجنح الشمس للمغيب تتفرغ طائفة قليلة من الكهنة لتمثال الإله ، أما أكثر الكهنة فيقفون فى مدخل المعبد ممسكين بعصى خشبية ، ويقف قِبَلهم رهط آخر من الرجال يوفون نذورهم ، وهم يزيدون عن الألف عداً ، ويمسكون بعصى خشبية مثل الآخرين . أما تمثال الإله فيوضع فى مقصورة صغيرة من الخشب المذهب وينقل فى ليلة العيد إلى موضع مقدس آخر . أما الفئة القليلة التى كانت قد تركت للعناية بالتمثال فتجر مركبة ذات أربعة عجلات ، فوقها المقصورة وقد وضع فيها تمثال الإله . ويحاول الكهنة الواقفون بمدخل المعبد أن يمنعوهم من الدخول فيخف الذين يوفون النذور لنجدة الإله ويضربونهم . فيدافع هؤلاء عن أنفسهم وهنا تحمى معركة العصى ، وتشج رؤوس، ويبدو لى أن الكثيرين يموتون بجراحهم ، ولو أن المصريين ينفون أن أحداً يموت من جرائها .

والسبب فى إحياء هذا العيد فيما يقول أهل البلاد هو أن أم آريس كانت تسكن فى هذا المعبد ، ولما بلغ آريس مبلغ الرجال جاء بغية التحدث إلى أمه لأنه كان قد ربى بعيداً عنها ، ولم يكن وصفاء أمه قد رأوه من قبل فلم يأذنوا له فى الدخول بل ردوه . فجمع رجالا من مدينة أخرى وأخذ الوصفاء بشدة ، ودخل إلى أمه ، ذلك هو أصل المعركة التى يقيمونها تكريماً لآريس فيما يقولون .

٦٤ — والمصريون هم أول من جعل من عدم مجامعة النساء فى المعابد وعدم دخول المعابد بعد الجماع دون اغتسال سنّة دينية مرعية . وكل

الشعوب تقريباً فيما عدا المصريين واليونانيين يجامعون فى المعابد ويدخلونها بعد الجماع دون اغتسال . وهم يرون أن شأن الإنسان فى ذلك شأن سائر الحيوان، فالحيوان والطير يعاشر فى معابد الآلهة وحرمها . فلو أن ذلك الأمر لم يكن محبباً إلى الرب ما أتاه الحيوان. وهم يتعللون بمثل هذه المبررات لأعمال هى عندى غير مرضية . ويرعى المصريون بصرامة سائر المناسك فى معابدهم وعلى الأخص هذا الذى ذكرت .

٦٥ — ومع أن مصر متاخمة لليبيا فهى ليست غاصة بالحيوانات . وكل الحيوانات التى عندهم تعتبر مقدسة ، وبعضها مستأنس والبعض الآخر غير مستأنس . ولو أننى ذكرت الأسباب التى قدست من أجلها الحيوانات لاستطردت فى حديثي إلى الشئون الدينية وهو أمر أتحاشى بوجه خاص الخوض فيه . أما ماعرضت له مما ذكرت من هذه الشئون فقد ذكرته مدفوعاً بمقتضى الحديث . والسنة الغالبة فى أمر هذه الحيوانات هى أن يعين من المصريين ، رجال ونساء ، حراساً لكل نوع منها على حدة ، ويتوارثون هذه الوظيفة الإبن عن أبيه . ويوفى كل واحد من سكان المدن نذورهم إليها بالطريقة الآتية : حينما ينذرون للإله الذى يقدس له الحيوان ، يحلقون رؤوس أبنائهم إما الرأس كله أو نصفه أو ثلثه ، ويقوّمون الشعر بزنته فضة، ويعطى المنذر قدر زنته مهما تكن إلى حارسة الحيوان ، وفى مقابل هذا يقطعون شريحة من السمك ويقدمونها للحيوانات غذاء .

هذه هى التربية التى خصت بها هذه الحيوانات . والموت عقوبة من

يقتل واحداً من هذه الحيونات عامداً . أما إذا قتل امرؤ أحدها غير عامد فيؤدى الجزاء الذى يفرضه الكهنة ، أما إذا كان ما قتل أبو منجل أو صقر فسواء كان قاتلها عامداً أو غير عامد يقتل حتماً .

٦٦ — وكثير من الحيوانات عندهم مستأنسة . وكانت تكون أكثر مما هى بكثير لو لم تتعرض القطط لما يأتى : حيث أن الإناث منها عندما تلد لا تعاشر الذكور فتصبح الذكور بالرغم من شبقها غير قادرة على معاشرة الإناث ، فقد فكرت لذلك بخبث فى أن تغتصب من الإناث صغارها أو تسرقها وتقتلها ، ولكنها لا تأكلها بعد قتلها . وبعد أن تحرم الإناث صغارها ، تصبح شديدة الرغبة فى غيرها وهكذا تذهب إلى الذكور ولاشك ، ذلك أن هذا الحيوان شديد الحب لصغاره . وحينما يشب حريق يستولى على القطط إحساس غريب . فينتحى المصريون جانباً ، ويهملون إطفاء الحريق ، ويراقبون القطط . فتنساب القطط بين الناس ، أو تقفز فوق رؤوسهم ، وتثب إلى النار . وتصيب هذه الحوادث المصريين بحزن عظيم . وإذا ماتت قطة فى بيت شخص موتاً طبيعياً يحلق كل أهل البيت حواجبهم فقط ، أما إذا مات فى البيب كلب فيحلقون الجسم كله والرأس أيضاً .

٦٧ — وتنقل القطط بعد موتها إلى مقاصير مقدسة فى مدينة بوباسطيس حيث تحنط وتدفن . أما إناث الكلاب فيدفنها أهل كل مدينة فى مقابر مقدسة . ويدفن النمس بنفس الطريقة التى تدفن بها الكلاب .

أما الجرزان والصقور فتنقل إلى مدينة بوطو، وينقل أبو منجل إلى مدينة هرمو پوليس، أما الدببة وهى نادرة، والذئاب وهى لا تزيد عن حجم الثعالب، فتدفن حيثما توجد ميتة .

٦٨ — وهذه هى طبيعة التماسيح : لا تأكل شيئاً فى أشهر الشتاء الأربعة . والتمساح ذو أربع قوائم ويعيش فى الأرض والماء على السواء، ويضع بيضه ويفقسه على الشاطىء ويمضى أكثر النهار على الأرض الجافة ولكنه يمضى الليل كله فى النهر لأن الماء يكون حينئذ أسخن من الهواء والندى . وهو دون سائر ما نعرف من كائنات ، ينمو من أصغر حجم إلى أكبره ، لأن بيضه لا يزيد كثيراً عن حجم بيض الأوز ، وحجم صغاره يتناسب مع حجم البيض ، ولكنه يظل ينمو حتى يبلغ سبع عشرة ذراعاً بل أكثر . وله عينا خنزير وأسنان ضخمة وأنياب تتناسب مع حجم جسمه . وهو وحده دون سائر الحيوانات لا ينمو له لسان ، ولا يحرك فكه الأسفل ، ولكنه وحده دون سائر الحيوانات كذلك يُطْبِق فكه الأعلى على الأسفل ،وله مخالب قوية وجلد على الظهر مغطى بالفلوس لا ينفذ منه شىء. ومع أن التمساح أعشى فى الماء فهو حاد البصر جداً فى الهواء ، وفمه من الداخل مملوء كله بالعلق لأنه يعيش فى الماء . وتتحاشاه الحيوانات كلها والطيور ، إلا الزقزاق فإنه على وئام معه ، فهو يستفيد منه . إذ حينما يخرج التمساح من الماء إلى الأرض يفغر فاه (هو يفعل ذلك عادة فى مهب الرياح

الغربية) ، فحينئذٍ يدخل الزقزاق فى فمه ويلتقط العلق . ويُسَرّ التمساح لهذه الخدمة ولا يؤذى الزقزاق .

٦٩ — والتماسيح مقدسة عند بعض المصريين ، ولكنها عند البعض الآخر غير مقدسة بل يتخذونها أعداء. والذين يعيشون حول طيبة وبحيرة موريس يعتبرونها مقدسة جداً . وتربِّى كل من هاتين الفئتين تمساحاً واحداً من بينها كلها ، وبعد أن يدربونه ليصير مستأنساً ، يضعون أقراطاً من الحجر المذاب[1] والذهب فى أذنيه ، وأساور حول قائمتيه الأماميتين ، ويقدمون له غذاء خاصاً وأضحيات ويعاملونه أحسن معاملة فى حياته فإذا مات يحنطونه ويدفنونه فى مقابر مقدسة . أما الذين يعيشون حول مدينة الفنتين فلا يعتبرونها مقدسة حتى إنهم ليأكلونها . والمصريون لا يسمونها عظايات بل خامبسى (تماسيح) فالأيونيون هم الذين أطلقوا عليها إسم عظايات بمقارنة هيئتها بهيئة العظايات التى توجد على الحيطان عندهم .

٧٠ — وهناك طرق كثيرة مختلفة لصيدها ، وإنى لأذكر الطريقة التى تبدو لى أجدرها بالتسجيل . يضع الصياد حول الشص عجيزة خنزير ثم يلقى بالشص فى وسط النهر ، ويقف هو على شاطئ النهر ومعه خنزير صغير حى يضربه ، وعندما يسمع التمساح صوت الخنزير يتجه صوب الصوت، فيلاقى العجيزة ويبتلع الشص ، ثم يجرونه إلى الشاطئ . وعندما يُجر إلى

---

(١) لعل الحجر المذاب نوع من الزجاج أو الخزف المصقول ولا تزال ثقوب الأقراط ترى فى آذان هياكل التماسيح المحنطة .

الشاطىء يكون أول ما يعمله الصياد هو أن يلطخ عينيه بالطين ، فإذا فعل ذلك أتم عملية الصيد بغاية السهولة ، و إذا لم يفعله تتم بصعوبة .

٧١ — وفرس النهر مقدس فى إقليم پاپريميس ، ولكن سائر المصريين لايقدسونه . وهذه هى سحنته الخاصة التى يطالعنا بها : من ذوات الأربع ، له حافر مشقوق مثل ظلف الثور ، مفرطح الأنف وله معرفة حصان وأنياب بارزة ، وله من الحصان ذيله وصوته ، و يكون فى حجم أ كبر ثور ، وجلده غليظ حتى أن قنا الرماح تصنع منه بعد تجفيفه .

٧٢ — وتوجد كلاب الماء كذلك فى النهر ، وتعتبر مقدسة . و يعتبر مقدساً من الأسماك النوع الذى يسمى الشبوط وثعبان الماء وهذان النوعان من الأسماك مقدسان — فيما يقولون — للنيل ، وكذلك الشبق من الطير .

٧٣ — وهناك طائر مقدس آخر يسمى الفونقس و إنى لم أره إلا مصوراً، فإن زيارته للبلاد نادرة — كل خمسمائة عام فيما يقول أهل هليو پوليس . وهو يزورهم — فيما يقولون — عند مايموت والده ، فإذا كان يشبه الرسم فوصفه كما يأتى : ريش جناحيه بعضه ذهبى و بعضه أحمر ، وهو شـديد الشبه بالنسر فى منظره وحجمه . وهم يقولون — وقولهم هذا لا يبدو لى جديراً بالتصديق — أن هذا الطائر يدبر الحيلة الآتية : يغطى والده بطبقة من المرّ، و ينطلق من بلاد العرب حاملا والده إلى معبد الشمس و يدفنه هناك . و إنه يحمله على النحو الآتى : يصنع بيضة من المر كبيرة بقدر ما يستطيع حمله . ثم يجرب أن يحملها . و بعد أن يجرب ذلك تماماً ، يجوّف البيضة و يضع

والده فيها بحيث يكون ثقل البيضة والوالد داخلها بعد تجويفها مثل ثقلها وهي كلها من المر المصمت . و بعد أن يغطي والده هكذا يحمله إلى معبد الشمس في مصر . ذلك ما يفعله هذا الطير فيما يقولون .

٧٤ — وتوجد حول طيبة حيات مقدسة غير مؤذية للإنسان على الإطلاق ، وهي صغيرة الحجم جداً ، ولها قرنان نابتان في مقدم الرأس . وهم يدفنونها بعد موتها في معبد زيوس ، لأنها — فيما يقولون — مقدسة لهذا الإله .

٧٥ — وفي بلاد العرب مكان يقع تجاه مدينة بوطو تقريباً ، وقد زرته أثناء بحثي عن الحيات المجنحة . فلما وصلت رأيت عظام حيّات وأعمدتها الفقرية بكثرة تفوق الوصف ، فقد كانت هناك أكوام من الأعمدة الفقرية بعضها كبير ، و بعضها أصغر منها ، و بعضها أصغر من هذه أيضاً . وكانت هذه الأكوام كثيرة . وهذا هو وصف هذا المكان الذي تنتشر فيه هذه الأعمدة الفقرية : ممر ضيق في الجبل ينفرج عن سهل فسيح يتاخم سهل مصر . وتذهب الرواية إلى أن الحيات المجنحة تطير في الربيع من بلاد العرب صوب مصر ، ولكن الطائر أبا منجل لا يدعها في طريقها بل يبيدها. ويقول الأعراب إنه من أجل هذه الخدمة يقدس أبو منجل عند المصريين تقديساً عظيماً . و يوافق المصريون على أنهم يقدسون هذه الطيور من أجل هذه الخدمات .

٧٦ — وهذه هي هيئة أبي منجل : أسود حالك السواد كله ، وله رجلا

غراب ومنقار شـديد التقوس وهو فى حجم الكركى . تلك إذن هيئة أبى منجل الأسود الذى يصارع الحيات . وهذا وصف أبى منجل الذى يروح ويغدو بين الناس فى الأغلب الأعم : أصلع الرأس والرقبة كلها ، وأبيض الريش فيما عدا الرأس والرقبة وأطراف الجناحين وطرف الذيل . فكل هذه الأجزاء التى ذكرتها حالكة السواد . وهو يشبه النوع الآخر فى منقاره ورجليه . وتشبه الحيات المجنحة حيات الماء فى الشكل ، فأجنحتها ليست ذات ريش بل تشبه على وجه التقريب أجنحة الخفافيش . ولنكتف الآن بما قلنا فى الحيوانات المقدسة .

٧٧ — أما عن المصريين أنفسهم فأولئك الذين يعيشون على الأرض المزروعة ، أفقه من زرت للتحرى من الناس طراً بكثير ، وذلك لعنايتهم بتثقيف ذاكرتهم . وهم ينتهجون هذا الضرب من الحياة : يطهرون جوفهم بالقيوء والحقن الشرجية ثلاثة أيام سوياً كل شهر سعياً وراء الصحـة ، معتقدين أن كل الأمراض تصيب الناس من الأكل الذى يتغذون به. وهم — حتى بغير هذا— أصح الناس قاطبة خلا الليبيين ، وهذا يرجع فيما أظن إلى الجو فهو غير متغير . فالأمراض تصيب الناس غالباً من التغيير أياً كان وخصوصاً تغيير الطقس ، وهم يعيشون على الخبز الذى يصنعونه من القمح الوحيد الحبَّة ويسمونه « كيلليستيس » . ويتعاطون خمراً مستخرجة من الشعير إذ لا يوجد فى بلادهم كروم . أما السمك فيجففون بعضه فى الشمس ويأكلونه نيئاً ، ويحفظون البعض الآخر فى الملح . أما ما يجدونه عندهم

فيما عدا ذلك من الطيور والأسماك — إلا ما يعتبرونه مقدساً — فيأكلونه إما مشوياً أو مطبوخاً .

٧٨ — وفى ولائم أغنيائهم ، عندما يفرغون من طعامهم ، يطوف بهم رجل يحمل جثة فى نعش . أما الجثة فتتخذة من الخشب ، ومصورة ومنقوشة وشديدة الشبه بجثة حقيقية ، وحجمها حوالى ذراع أو ذراعين على وجه الإجمال . ويقول الرجل كلما أراها الى أحد الحاضرين « إشرب و إلهُ وأنت تنظر إلى هذه ، فستصير مثل هذه بعد موتك » . هذا إذن ما يفعلونه فى ولائمهم .

٧٩ — ويتمسك المصريون بتقاليد آبائهم ولا يضيفون اليها تقليداً واحداً جديداً . ومن بين تقاليدهم المختلفة التى تستحق الذكر نشيد هو « نشيد لينوس »[١] . وهو ينشدفي فينيقية وقبرص وغيرها من البلدان ، وله أسماء متغايرة عند الشعوب المختلفة . والإجماع على أنه هو نفس النشيد الذى ينشده اليونانيون باسم « لينوس » . وإن أشد ما يثير العجب فى مصر من بين ما تعجب له فيها من أشياء كثيرة ، المصدر الذى إشتقوا منه إسم لينوس ، فهم يتغنون به دائما من قديم الزمان . « ولينوس » يسمى فى اللغة المصرية « مانيروس »[٢] . ولقد قال لى المصريون إنه كان الخلف الوحيد

(١) نشيد ينعون فيه الصيف إذا انقضى .وكان المستمعون يرددون فى الدور قول « الويل لنا » وهو فى اللغاتالسامية « أى لينو » وهذه حرفت فأصبحت فى اليونانية أيلينوس ثم لينوس .

(٢) لعلها من الكلمة المصرية « ما ــ ن ــ هرا » أى « جئتنا ثانية » .

لأول ملك لمصر ، ولما مات قبل أوانه كرّمه المصريون بهذا النشيد ، وأن هذا كان النشيد الأول والوحيد عندهم .

٨٠ — ويشبه المصريون أللاقيديمونيين وحدهم دون اليونانيين فى وجه آخر . إذا قابل الصغار منهم الكبار أفسحوا لهم الطريق وتنحوا جانباً . وإذا أقبل عليهم الكبار قاموا من مقاعدهم . ولكنهم لا يشبهون شعباً واحداً من اليونانيين فى عادة أخرى ، هى أنهم بدلا من أن يحيوا بعضهم بعضاً فى الطرقات ، ينحنون خافضين أيدهم إلى الركبة .

٨١ — وهم يلبسون قمصاناً من التيل مموجة عند القدمين يسمونها « كالاسيريس » ، ويلبسون فوقها أردية من الصوف الأبيض تسدل على الكتف ، ولا يحمل أحد منهم رداء صوفياً إلى المعابد ، ولا يدفن به ، فذلك غير مباح . وهم يتفقون فى هذه الطقوس مع الطقوس التى يسمونها أورفية [(١)] وباخوسية وهى فى الحقيقة مصرية وفيثاغورسية [(٢)] ، فلا يباح لواحد ممن يدخلون هذه النِحَل أن يدفن وعليه أردية صوفية . وتروى قصة دينية فى هذه المسائل .

٨٢ — ويرجع الوقوف على المعلومات الآتية إلى المصريين أيضاً ،

---

(١) سميت أورفية نسبة إلى اورفيوس الشاعر الكاهن القديم . وقد سادت هذه العقائد بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد . وكانت قائمة على الشعور بالخطيئة والحاجة إلى المغفرة والايمان بخلود الروح .

(٢) نسبة إلى فيثاغورس وهو فيلسوف يونانى ولد فى جزيرة ساموس حوالى سنة ٥٧٠ ق.م. وكان يؤمن بتناسخ الأرواح .

وهى بإسم أى الآلهة يسمى كل شهر وكل يوم ، وأى الحظوظ سيلاقى كل من يولد فى يوم كذا أو كذا ، وعلى أى نحو سيقضى نحبه ، وأى رجل سيكون .

ولقد إستغل اليونانيون الذين يتعاطون الشعر هذه المعلومات . وقد عُرِف من علامات الغيب عند المصريين أكثر مما عرف عند سائر الشعوب كافة . وذلك بأنه كلما تبدَّت علامة راقبوا نتيجتها ودوّنوها ، فإذا تبدى مايشابهها بعدئذ مرة أخرى ، حسبوا أن نتيجته ستكون مثل نتيجة الأولى .

٨٣ — وهذا هو حال الإخبار بالغيب عندهم : لا يعزى هذا الفن إلى أحد من الناس ، بل يعزى إلى بعض الآلهة . فعندهم هاتف لهرقل وأبللو وآثينــة وأرتميس وأريس وزيوس ، ويوجد هاتف لليطو فى مدينة بوطو ، وهم يولون هذا من التقديس أكثر مما يولون سائر الهواتف . وطرق الإخبار بالغيب عندهم ليست واحدة بل مختلفة .

٨٤ — والتطبيب عندهم مقسم إلى الفروع التالية ، إذ كل طبيب يختص بداء واحد لا أكثر ، وكل البلدان عندهم غاصة بالأطباء ، لأن بعض الأطباء مختصون بالعيون ، وبعضهم بالرؤوس ، وبعضهم بالاسنان ، وبعضهم بالامعاء وبعضهم بالأمراض المجهولة .

٨٥ — وهذه هى أساليب الحداد والدفن عندهم : اذا مات رجل وكان ذا إعتبار وقد فارق بيته ، لطَّخ نساء هذا البيت كلهن رؤوسهن أو وجوههن بالطين ثم يتركن الجثة فى البيت ويطفن بالمدينة لاطمات خدودهن

ورافعات ذيولهن وكاشفات عن صدورهن ومعهن كل قريباتهن . أما الرجال فيمكثون حيث هم ، و يلطمون خدودهم ، ويرفعون أرديتهم . وعند ما يفرغون من ذلك يأخذون الجثة لتحنط .

٨٦ — وهناك قوم يتخصصون فى التحنيط ويتخذونه صناعتهم، وعندما تحمل الجثة إلى هؤلاء ، يعرضون على الذين يأتون بها ، نماذج لجثث متخذة من الخشب ومصورة بحيث تحاكى الحقيقة . وتعزى أحسن طرق التحنيط فيما يقولون لمن[1] لايصح أن أذكر اسمه فى معرض الحديث فى مثل هذا الموضوع . والطريقة الثانية التى يعرضون نماذج منها تقل عن هذه إتقاناً ونفقة ، والثالثة أرخصها . و بعد أن يخبرونهم بذلك يعرفون منهم بأى الطرق يريدون أن تهيأ الجثة . و بعد أن يتفق أصحاب الجثة على الأجر يذهبون فى سبيلهم ، و بعد أن يخلفوا المحنطين فى محلهم، ينصرف هؤلاء إلى عملية التحنيط على النحو التالى إذا كان التحنيط بأحسن الطرق : يستخرجون أولاً المخ من المنخارين بواسطة أداة حديدية معقوفة ، يستخرجون بعضه بهذه الوسيلة والبعض الآخر بصب عقاقير فيه . و بعد ذلك يشق الكشح بحجر حبشى مسنون ، و يخرجون الأحشاء كلها ، و بعد أن ينظفوها و يغسلوها بخمر البلح ، يغسلونها ثانية بالتوابل المجروشة ، ثم يملؤون الجوف بمر نقى مجروش وسليخة وسائر الطيب ما عدا البخور ثم يخيطونها بالتالى ، و بعد أن يقوموا بذلك يحنطون الجثة بتغطيتها بالنطرون سبعين يوماً ، ولا يجوز أن

---

(١) يعنى أوزيريس .

تستمر عملية التحنيط أكثر من ذلك ، وعند ما تنقضى السبعون يوماً ، يغسلون الجثة ويلفونها كلها بلفائف مقطوعة من الكتان الرقيق النسج، مدهونة بالصمغ الذى يستخدمه المصريون فى أكثر الأحيان بدلا من الغراء ، وبعد أن يتسلم أهل المتوفى الجثة يصنعون تمثالا من الخشب مجوفاً على هيئة إنسان ويضعون فيه الجثة ، وبعد أن يدخلوها فيه يحفظونها فى غرفة للدفن ويجعلونها قائمة مسندة إلى الحائط .

٨٧ — على هذا النحو إذن يجهزون الجثث بأكثر الطرق نفقات . أما الجثث التى يطلب أصحابها الطريقة الوسطى ويهربون من النفقات ، فيجهزونها على النحو التالى : يملؤون حقنهم بزيت الصنوبر ويملأون به جوف الجثة ، وهم لا يشجون الجثة ، ولا يستخرجون الأحشاء ، بل يدخلون الزيت من الشرج ويسدونه ليمنعوا الزيت من الانسياب خارجاً مرة أخرى ، وبعد ذلك يحنطون الجثة طوال الأيام المعينة . وأخيراً ينزلون من الجوف الزيت الذى كانوا قد أدخلوه من قبل . ولهذا الزيت قوة كبيرة حتى أنه ليجرف معه الأحشاء والمصارين وقد تحللت . وحيث أن النطرون يأكل اللحم فالذى يتبقى من الجثة هو الجلد والعظام فقط . وبعد أن يصنعوا ذلك يُرجعون الجثة إلى أصحابها ولا يعنون بها بعد ذلك .

٨٨ — وهذه هى طريقة التحنيط الثالثة ، وهى المستعملة فى تجهيز جثث رقيقى الحال : يغسلون الجوف بماء الفجل ثم يحنطون الجثة سبعين يوماً ، وبعد ذلك مباشرة يسلمونها لأهل المتوفى ليذهبوا بها .

٨٩ — أما زوجات مشاهير الرجال ، والنساء الفائقات الجمال البعيدات الصيت ، فلا يسلمن بعد موتهن مباشرة ليحنطن . فهم لا يسلموهن للمحنطين إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام أو أربعة أيام على موتهن ، وهم يسلكون هذا المسلك ليمنعوا المحنطين من التمثيل بالجثث ، ذلك أن أحدهم قد قبض عليه فيما يقولون متلبساً بمواقعة جثة امراة حديثة الموت ، وقد أبلغ عنه زميل له فى العمل .

٩٠ — وإذا وجد أحدٌ من المصريين أو الأجانب — وهم فى ذلك سواء — ميتاً وقد اغتاله تمساح أو أغرقه النهر نفسه ، فعلى أهل البلدة التى جرف عندها أن يحنطوه ويجهزوا الجثة على أحسن وجه ، ويدفنوه فى مقبرة مقدسة . ولا يسمح لأحد من أقرباء المتوفى أو من أصدقائه بلمسه بل يسمح بذلك لكهنة النيل أنفسهم فحسب ، فهم الذين يتناولون الجثة ويدفنونها بأيديهم لأنهم يعتبرونها شيئاً أعظم من مجرد جثة إنسان .

٩١ — وهم يتحاشون اتخاذ العادات اليونانية ، بل هم بوجه عام يتحاشون كل عادات سواهم من الناس على الإطلاق . وهكذا يحافظ سائر المصريين على هذا التقليد . ومع ذلك فتوجد مدينة عظيمة هى خميس فى إقليم طيبة بالقرب من مدينة نياپوليس ، ويوجد فى هذه المدينة باسم پرسيوس بن داناى ، معبد مربع ينمو حوله النخيل . وبوابة هذا المعبد من الحجر ، وهى كبيرة جداً يقوم فوقها تمثالان عظيمان من الحجر . ويوجد فى هذه الساحة محراب يقوم فيه تمثال لپرسيوس ، ويقول أهل

خميس أنه كثيراً ما يتجلى لهم پرسيوس فى البلاد ، وكثيراً ما يظهر داخل المعبد ، وأنهم كثيراً ما يجدون الخف الذى ينتعله ، وطوله ذراعان ، وأنه حينما تحدث ظاهرة التجلى هذه ، تزدهر مصر كلها . هذه هى روايتهم . وهم يحيون الطقوس اليونانية من أجل پرسيوس فيعقدون مباريات رياضية تشتمل على جميع فنون المسابقات ، ويقدمون جوائز — أغناماً وأردية وجلوداً . ولما سألت لماذا كان من عادة پرسيوس أن يتجلى لهم وحدهم ولماذا يقيمون المباريات الرياضية مخالفين بذلك سائر المصريين أجابوا بأن پرسيوس أصله من مدينتهم ، وأن دناؤس ولينكيوس[1] اللذان أبحرا إلى بلاد اليونان كانا من أهل خميس ، وذكروا الأنساب بادئين بهذين ووصلوا بها إلى پرسيوس ، وقالوا : إن پرسيوس لما جاء إلى مصر للغرض الذى يقول به اليونانيون أيضاً ، أى لإحضار رأس جورجو[2] من ليبيا تعرّف على أهله جميعاً ، وأنه كان على علم تام باسم خميس قبل أن يزور مصر ، إذ أنه كان قد سمع به من أمه ، وأنه قد أمرهم بإقامة المباريات الرياضية باسمه .

٩٢ — ويرعى المصريون الذين يعيشون فيما وراء المستنقعات كل هذه التقاليد ، ويرعى سكان المستنقعات التقاليد عينها ، التى يرعاها سائر

(١) تذهب الأساطير إلى أن لينكيوس إبن شقيقة دناؤس ، وأن حفيدته دنائى هى أم پرسيوس .

(٢) يعنى ميدوسيا وقد كانت جدائل شعرها حيات مرعبة تحيل كل من ينظر إليها صخراً وقد استطاع پرسيوس بوساطة مرآة أن يقتلها وأن يحمل رأسها إلى مصر .

المصريين من جميع الوجوه ، ومن حيث أن كل واحد منهم يتخذ زوجة واحدة مثل اليونانيين تماماً ، ولكنهم توفيراً للحبوب اكتشفوا الطريقة الآتية : عند ما يحدث الفيضان ويغمر النيل السهل، ينبت السوسن فى الماء بكثرة ، ويسميه المصريون البشنين ، وهم يجمعون هذا ويجففونه فى الشمس ويطحنون ما يكون فى وسط البشنين من حب ، وهو يشبه الخشخاش ويصنعون منه أرغفة تخبز على النار، وجذر البشنين صالح للأكل هو الآخر، وهو لذيذ الطعم نوعاً ، مستدير الشكل ، فى حجم التفاحة . وهناك أنواع أخرى من السوسن تشبه الورد ، وهى مثل البشنين ، تنبت فى النهر . وتنمو ثمرته من جذر فى كأس على ساق منفرد ، وهو يشبه فى شكله خلية النحل . وتوجد فى هذه الكأس حبات كثيرة صالحة للأكل ، وهى فى حجم نوى الزيتون ، تؤكل طازجة وجافة . أما البردى الذى ينبت سنوياً فيقتلعونه من المستنقعات ، ويقطعون الجزء الأعلى منه ويحولونه إلى أغراض مختلفة . أما الجزء الأسفل المتخلف ، وطوله ذراع تقريباً فيأكلونه ويبيعونه . أما شديدو الرغبة فى تناول البردى أحلى ما يكون فيأكلونه بعد طبخه فى فرن فخارية محمية ، ويعيش بعض هؤلاء القوم على الأسماك فحسب ، وهم حين يصيدونها يستخرجون أحشاءها ويجففونها فى الشمس ثم يأكلونها جافة .

٩٣ — ويوجد فى النهر قليل من سمك الأسراب، وهذه تسلك بعد أن تترعرع فى البحيرات السلوك التالى . فعند ما تجتاحها شهوة التلقيح تسبح إلى

البحر فى سرب ، و يقود الذكور السرب وتنثر اللقاح فتلتقطه الإناث التى تتبع الذكور و تحبل به . وحينما تحمل فى البحر تقفل راجعة من توها كل واحدة إلى مكمنها، ولكن الذكور لا تعود بعدُ قائدة للسرب بل إن الإناث تكون فى الطليعة . وحينما تكون الإناث فى مقدمة السرب ، تصنع كما كانت الذكور تصنع تماماً . فهى تنثر بيضها شيئاً فشيئاً الواحدة منه فى حجم حبّة الذرة ، فتبتلعها الذكور التى تتبعها ، وهذه الحبات هى الأسماك . فمن الحبات التى تهمل ولا تُبتلع تكون الأسماك التى تنمو . وترى الأسماك التى تسبح فى رحلتها نحو البحر وقد تهشم الجانب الأيسر من رأسها . فى حين أن تلك التى تسبح راجعة ترى وقد تهشم الجانب الأيمن منها . وهى تتعرض لهذا الأذى للسبب التالى : فى طريقها إلى البحر تلزم جانب الشط الذى إلى اليسار ، وفى أثناء رجوعها ثانية تلزم نفس الجانب مقتربة منه وحافة به إلى أقصى حد ، وذلك لئلا تخطىء الطريق من جراء التيار . وحينما يبدأ النيل فى الفيضان تكون الفجوات التى فى الأرض والبرك التى بالقرب من النهر أول ما يبدأ فى الامتلاء بالماء ، وذلك لتسرب الماء من النهر إليها . و بمجرد امتلائها بالماء تصبح كلها فى التو غاصة بالأسماك الصغيرة . و يخيل إلى أننى أفهم لماذا كان من الطبيعى أن يحدث ذلك . فعند ما هبط النيل فى السنة السابقة تركت الأسماك بيضها فى الطين وقفلت راجعة مع آخر ما انحسر من الماء . وعند ما تنقضى الفترة المعلومة و يرجع الماء ثانية ، تنتج هذه الأسماك على الفور من هذا البيض . ولنكتف الآن بهذا القدر من الحديث فى الأسماك .

٩٤ — والمصريون الذين يعيشون حول المستنقعات يتخذون زيتاً من ثمار نبات الخروع ويسميه المصريون « كيكى » وهم يستخرجونه بالطريقة الآتية : يبذرون هذا الخروع على حوافى الأنهار والبحيرات . (ينمو نوع برىّ منه من تلقاء نفسه فى بلاد اليونان) . والذى يبذر فى مصر يحمل ثماراً كثيرة ولكنها كريهة الرائحة ، وبعد أن يجمعوا هذه الثمار ، يقطها البعض ويعصرها ، أما البعض الآخر فيحمصونها ويغلونها ويجمعون ما يقطر منها . وهذا السائل يكون لزجاً ولا يقل صلاحية عن زيت الزيتون للمصباح ، إلا أن له رائحة كريهة .

٩٥ — ولقد لجأوا إلى الحيلة الآتية ضد البعوض وهو كثير عندهم : فأما الذين يسكنون فيما وراء المستنقعات فيستغنون بأبراجهم إذا تسنموها وناموا فيها ، لأن البعوض لا يستطيع أن يحلق إلى هذا الارتفاع تحت ضغط الرياح . وأما الذين يسكنون حول المستنقعات فقد لجأوا إلى حيلة أخرى عوضاً عن الأبراج . يزوّد كل واحد منهم بشبكة يصيد بها السمك أثناء النهار أما بالليل فيستخدمها على النحو الآتى : يبسط الشبكة حول السرير الذى ينام عليه ، ثم يتسلل داخلها وينام تحتها . أما إذا لف نفسه فى رداء أو ملاءة من الكتان ونام عضه البعوض من خلال الغطاء ، مع أن البعوض لا يقرب الشبكة البتة .

٩٦ — وتصنع سفنهم التى تحمل البضائع من شجر اللبخ وهو قريب الشبه فى شكله بالبشنين القورينائى ، وهو ينضح الصمغ . وبعد أن يقطعوا

الأخشاب من هذا اللبخ ألواحاً طول الواحد منها ذراعان ، يصففونه كما يصففون اللبِن ، ويصنعون منه السفينة على النحو الآتى : يعشِّقون الألواح التى طول الواحد منها ذراعان حول أوتاد طويلة متلاصقة . وبعد أن يبنوا هيكل السفينة على هذا النحو يمدون عوارض على أعاليها . وهم لايستخدمون الضلوع بل يسدون الفواصل التى بالداخل بالبردى . ويصنعون دفة واحدة تدفع فى قاع السفينة . ويتخذون السارى من اللبخ والشراع من البردى . ولا تستطيع هذه السفينة أن تسير ضد التيار إذا لم تواتها ريح شديدة ، بل تجر حينئذ من الشاطىء . وهى تسير مع التيار على النحو الآتى : يوجد إطار مصنوع من الأثل وقد حُشِى بقصب مجدول ، وحجرٌ مخروم زنته طالنطان تقريباً . يطلق السفان الإطار وقد ربط بحبل ليطفو أمام السفينة ، ويلقى بالحجر وراءها وقد ربط بحبل آخر . ويدفع التيار الإطار فيتحرك بسرعة ويجر « الباريس » (هذا هو إسم هذه السفينة) . أما الحجر فيجر وراءها ، وحيث أنه فى قعر النهر ، فهو يضبط سير السفينة فى طريقها . وعندهم من هذه السفن أعداد غفيرة ، ويحمل بعضها آلافاً عديدة من الطالنطات .

٩٧ — وحينما يغمر النيل البلاد ، تبدو المدن وحدها فوق الماء وتكون شبيهة بعض الشىء بالجزائر التى فى بحر إيجه ، ويصبح سائر أجزاء مصر بحراً ، وتكون المدن وحدها فوق الماء . وحينما يحدث هذا لا يلتزم المصريون مجرى النهر ، بل ينتقلون فى مراكبهم فى وسط السهل ، فإذا صعّدت فى

النهر من مدينة نوقراطيس إلى منف يكون سيرك بجانب الأهرام نفسها . وليس هذا هو الطريق العادى ، بل الطريق العادى يسير بجوار رأس الدلتا و بجوار مدينة كركاسوروس . و إذا أبحرت من البحر فالفرع الكانوبى إلى مدينة نوقراطيس عبر السهل ، وصلت إليها ماراً بمدينة أنثيللا والمدينة التى تسمى — نسبة إلى أرخاندروس — « مدينة أرخاندروس » .

٩٨ — أما أنثيللا فمدينة ذات شأن وقد عزلت وأعطيت لزوج من يكون جالساً على عرش مصر لمشترى أحذيتها . ولقد ساد هذا التقليد منذ العصر الذى خضعت فيه مصر لفارس . أما المدينة الثانية فيخيل إلىّ أنها أخذت إسمها من ختن دناؤس وهو أرخاندروس بن فيثيوس بن أخيوس ، إذ أنها تسمى مدينة «أرخاندروس» . ولعله قد كان هناك رجل آخر يسمى أرخاندروس ، ولكن الاسم على أية حال ليس مصرياً .

٩٩ — لقد ذكرت الى الآن مشاهداتى الخاصة وآرائى وأبحاثى ولكنى أبدأ من الآن بذكر الروايات المصرية كما سمعتها وسأضيف اليها شيئاً من مشاهداتى الخاصة كذلك .

أخبرنى الكهنة أن مينا كان أول من تولى ملك مصر و إنه هو الذى أوجد موقع منف بتحويل مجرى النهر ، فقد كان النهر كله يجرى ناحية الهضبة الرملية فى الجانب الليبى. ولكن مينا — بادئاً من أعلا — كوّن بوساطة السدود ، الحنية التى تقع إلى الجنوب من منف بمقدار مائة ستاد ، وهكذا جفف المجرى القديم . هذا فى حين أنه احتفر مجرى جديداً للنهر

حتى ينساب فى طريق وسط بين الهضبتين . (ولا تزال حنية النيل هذه التى تكونت بتحديد مجراه بالسدود باقية الى الآن ، ولا يزال الفرس إلى الآن يوالون حنية النيل هذه التى تكونت بتحديد مجراه بالجسور بالعناية الفائقة ، ولا يزالون يدّعمون جوانبها كل عام ، لأنه إذا اجتاح النهر الجسور فى هذه المنطقة ، لأصبحت منف كلها فى خطر من الغرق .) وبعد أن تهيأت لمينا وهو أول ملك للبلاد هذه الرقعة التى جفت بعد حبس الماء عنها ، أنشأ فيها تلك المدينة التى تدعى الآن منف (ذلك أن منف ليست فى الدلتا بل فى وادى النيل) . وحفر — بادئاً من النهر — بحيرة خارج المدينة متجهة إلى الشمال والغرب ، (النيل نفسه يحدّها من ناحية الشرق) ، ثم أقام فى المدينة معبد هيفا يستوس وهو ضخم وجدير بالذكر .

١٠٠ — ولقد قرأ لى الكهنة من دَرْج بردى أسماء ثلثمائة وثلاثين ملكاً آخرين بعد مينا . وكان بين كل هذه الأجيال من الرجال ، ثمانية عشر ملكاً من الأحباش وامرأة واحدة من أهل البلاد ، أما سائر الملوك فكانوا مصريين . أما إسم المرأة التى كانت ملكة فكان مثل إسم الملكة البابلية تماماً : نيتوكريس . وقالوا لى إنها أهلكت الكثيرين من المصريين بخدعة لتثأر لأخيها الذى كان ملكا على المصريين وقتلوه وولوها الملكة بعد أن قتلوه . فقد ابتنت بهواً رحيباً تحت الأرض ، وأعلنت قائلة إنها تفتتحه ولكنها فى السر كانت تدبر أمراً آخراً . دعت إلى وليمة جمعاً غفيراً من المصريين ممن كانت تعلم أن لهم على الخصوص يداً فى الجريمة ،

وأطلقت عليهم أثناء تناولهم الطعام ماء النهر من أنبوبة واسعة خفية . هذا هو كل ما قالوه لى عن هذه الملكة ، فيما عدا أنها عندما أتمت الجريمة قذفت بنفسها فى غرفة مليئة بالرماد حتى تُعفى من العقاب .

١٠١ — ولم يذكروا لى عملاً من الأعمال الجيدة قام به واحد من الملوك الآخرين ، أو أن أحدهم كان ذا نصيب من الشهرة إلا آخرهم وهو موريس ، فقد خلف هذا بمثابة تذكار لحكمه بهو معبد هيفا يستوس الذى يتجه إلى الشمال . واحتفر بحيرة سأبين طول محيطها مقيساً بالستاد فيما بعد ، وابتنى فيها أهراماً سأذكر أبعادها فى معرض الحديث عن البحيرة نفسها . هذه هى الآثار التى خلفها هذا الملك ولم يخلف واحد من الآخرين شيئاً .

١٠٢ — وإنى سأضرب صفحاً عن هؤلاء ، وسآتى على ذكر الملك الذى تلاهم واسمه سيسوستريس [١] . قال الكهنة إنه أولاً أقلع بسفن حربية من الخليج العربى وهزم القوم الذين يسكنون على سواحل البحر الأحمر ، وأنه واصل إبحاره قدماً إلى أن وصل إلى منطقة فى البحر لم يعد البحر يصلح فيها للملاحة لضحولته . وبعد ذلك رجع ثانية إلى مصر . وحشد بحسب رواية الكهنة جيشاً كبيراً وقاده مخترقاً القارة ، وهزم كل الشعوب التى كانت فى طريقه وكلما قابل منهم قوماً شجعاناً يتشبثون

---

(١) هو سنوسرت الثالث من فراعنة الأسرة الثانية عشر (١٨٦٠ ق . م تقريباً) وقد تضخمت شخصيته في مخيلة الشعب فعزا اليه كثيراً من أعمال الفراعنة الآخرين

بصرامة بحريتهم أقام فى بلادهم أعمدة عليها نقوش تبين إسمه ووطنه وكيف أنه هزمهم بقوته . أما إذا لم تقاوم المدن وأخذت بسهولة ، كتب على الأعمدة التى يقيمها عندهم بنفس الأسلوب الذى اصطنعه فى حالة الشجعان وأضاف إلى النقش عورة إمرأة ، يريد أن يبين بذلك أنهم كانوا جبناء .

١٠٣ — وعلى هذا النحو عبر القارة وجاوز آسيا إلى أوروبا وهزم السكيثيين [١] والتراقيين . وهذه الجهات كانت فيما أعتقد أقصى ماوصل اليه الجيش المصرى ، فمع أن الأعمدة ترى قائمة فى بلاد هذه الأقوام فإنها لا ترى أبعد من ذلك . وبعد ذلك تحوّل وقفل راجعاً . ولا يمكننى أن أقرر على وجه الدقة ماذا حدث بعد ذلك عندما وصل إلى نهر فاسيس ، هل فصل الملك سيسوستريس جزءاً من جنده وتركهم ليستوطنوا تلك البلاد ، أم أن طائفة من الجند أنهكتها الرحلة فتخلفت بالقرب من نهر فاسيس ؟

١٠٤ — ذلك أنه من الجلى أن الكولخيين مصريون . وإنى قد فطنت إلى الرأى الذى أذهب اليه الآن بنفسى قبل أن أسمعه من الآخرين . ولما خطر هذا الرأى فى بالى استجوبت كلا الشعبين وعلمت أن الكولخيين يذكرون المصريين أكثر مما يذكر المصريون الكولخيين ، هذا مع أن المصريين

---

(١) هم قبائل متعددة فى جنوب روسيا ، وليس من المحقق أنهم آريون أم مغوليون ولقد إندثر هذا الجنس كله الذي ذكر كثيراً فى التاريخ القديم ، دون أن يترك أثراً واحداً في تاريخ الحضارة الإنسانية .

يرون أن الكولخيين كانوا جزءاً من جيش سيسو ستريس . ولقد خمنت أن الأمر كذلك لا لأن الكولخيين سمر البشرة وجعد الشعر فحسب ، فذلك لايهدينا إلى شيء لأن غيرهم من الناس على هذا الوصف أيضاً ، ولكن لحجة أعظم ، وهى أن الكولخيين وحدهم مع الأحباش والمصريين دون سائر البشر مارسوا عادة الختان منذ البدء . فالفينيقيون والسوريون فى فلسطين يقررون هم أنفسهم أنهم عرفوا هذه العادة من المصريين ، هذا فى حين أن السوريين الذين يعيشون حول نهرى ثرمودون وبارثينيوس ، والماكرونيين[1] الذين يجاورونهم يقررون أنهم تعلموا هذه العادة حديثاً عن الكولخيين ، وهؤلاء وحدهم هم الذين يختتنون . والظاهر أنهم يمارسون هذه العادة وفقاً لسنة المصريين . أما عن الأحباش والمصريين ، فلا يمكننى أن أقرر أيهما أخذ العادة عن الآخر ، فمن الجلى أنها عادة قديمة جداً . أما أن الشعوب الأخرى قد تعلمت هذه العادة باتصالها بمصر ، فلدى عليه دليل قاطع وهو أن الذين يتصلون باليونانيين من الفينيقيين لا يقلدون المصريين بل يتركون أولادهم بلا ختان .

١٠٥ — دعنى الآن أتحدث إليك بعادة أخرى يشبهون فيها المصريين ، فهم والمصريون فقط يصنعون التيل وذلك بطريقة واحدة بعينها . وهم يتشابهون فى أسلوب حياتهم كله وفى لغتهم . ويسمى اليونانيون التيل

---

(١) هم قبيلة في الجنوب الشرقى من البحر الأسود بالقرب من طرابيزون .

الكولخى[١] التيل الساردينى أما التيل الذى يأتيهم من مصر فيسمونه التيل المصرى .

١٠٦ — و بالرغم من أن أكثر ما أقامه الملك سيسوستريس من أعمدة فى الأقطار لم تعد قائمة بعد ، فقد رأيت بنفسى فى فلسطين أعمدة قائمة عليها النقوش التى ذكرتها وكذا عورة المرأة. ويوجد فى أيونيا تمثالان[٢] لهذا البطل منحوتان فى الصخر أحدهما فى الطريق المؤدية من أفسوس إلى فوكايا والآخر فى الطريق المؤدية من ساردیس إلى سميرنا ، والتمثال المحفور فى كلا الحالين لرجل ضخم طوله أربعة أذرع ونصف ممسكا بحربة فى يده اليمنى و بقوس فى يده اليسرى ، وسائر عدته على هذا النحو ، فهى مصرية وحبشية . ويمتد بعرض الصدر من كتف إلى كتف نقش محفور باللغة المصرية المقدسة يقول « لقد فتحت هذا البلد بقوة كتفى » . وهو لم يبين هنا من أى بلد جاء فقد أوضح ذلك فى موضع آخر . ويظن بعض من رأوهما أن التمثال لمنون[٣] ولكنهم يحيدون فى ذلك عن الحق كثيراً .

١٠٧ — ولما كان سيسوستريس المصرى هذا راجعاً وقد أحضر رجالا كثيرين من الشعوب التى كان قد غزا أراضيها ، حدث فيما قال الكهنة أنه

---

(١) الكولخيون قبيلة كبيرة كان موطنها الشاطىء الشرقى من البحر الأسود .

(٢) كشفت الحفائر عن التمثالين فى كرابل ولكنهما ليسا صناعة مصرية ، بل من صناعة الحيثيين .

(٣) هو ابن إيوس إلهة الفجر وملك الحبشة وقد خلط اليونانيون بينه وبين أمينوفيس الثالث أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وفسروا الأنغام التى يطلقها التمثال فى الفجر بأنها تحية ممنون لأمه إلهة الفجر.

عندما حط رحاله فى دافنـاى البيلوزية أن دعاه أخوه ، وقد كان سيسوستريس قد عهد إليه فى أمر مصر ، إلى وليمة ودعا معه أولاده ، ووضع حطباً حول البيت ، و بعد أن وضع الحطب أشعل فيه النار . فلما علم سيسوستريس بهذا الأمر شاور امرأته على الفور ، إذ أنه كان قد أحضر امرأته معه أيضاً . فأشارت هى عليه بأن يضع ولدين من أولاده الستة على النار فيكونا بمثابة قنطرة فوق الحطب المشتعل ، حتى ينجوا هم بالمرور فوقهما . وقد فعل سيسوستريس هذا ، واحترق اثنان من أبنائه على هذا النحو أما الباقون فقد نجوا مع أبيهم[١] .

١٠٨ — و بعد أن رجع سيسوستريس إلى مصر وثأر من أخيه استخدم الجمع الغفير الذى أحضره معه وكان قد أخضع بلادهم فيما يلى: فهم الذين جروا الحجارة التى نقلت فى عهد هذا الملك إلى معبد هيفايستوس وقد كانت بالغة الحجم ، وهم الذين حفروا مسخرين جميع القنوات التى توجد الآن فى مصر . وهكذا جعلوا — بغير رضاهم — من مصر التى كانت من قبل بلاداً تقطعها الخيول والعجلات بلاداً خالية منها . فمنذ ذلك الوقت أصبحت مصر كلها — بالرغم من أنها بلاداً مسطحة — خالية من الخيل والعجلات . والسبب فى ذلك هى القنوات فهى كثيرة ذاهبة فى جميع الجهات . ولقد شق هذا الملك الترع فى البلاد لأن المصريين الذين كانوا

(١) ليس للقصة أساس من الصحة على التحقيق ، ولكن مصدرها على الأرجح هو صورة الفرعون المنتصر ، إذ كان يرسم وقد وطأ بقدميه رجلين يمثلان أعداءه السوريين والنوبيين .

يقطنون مناطق لا تقع على النهر بل تقع فى داخلية البلاد ، كانوا كلما انحسر النهر فأعوزتهم المياه يتعاطون ماء صالحاً بعض الشيء يستنبطونه من الآبار . لهذا السبب إذن شُقَّت الترع فى مصر .

١٠٩ — وقال الكهنة أن هذا الملك قد قسم البلاد بين جميع المصريين فأعطى لكل فرد مساحة مربعة متساوية ، وأنه قد حصل على دخله من هذا المصدر لأنه أمرهم بأداء الضريبة سنوياً . فإذا أكل النهر جزءاً من المساحة المقررة لأحد الناس ، ذهب من فوره إلى الملك ، و بين له ما حدث ، وكان الملك يرسل رجالاً يعاينون الأرض ، و يقيسون المقدار الذى نقص منها ، حتى يدفع من الضريبة المقررة ما يتكافأ مع الباقى من الأرض . و يخيل إلى أن هذا أصل اكتشاف علم المساحة ، وأنه انتقل من مصر إلى بلاد اليونان . أما الساعة الشمسية والمزولة وتقسيم النهار إلى اثنى عشر قسما فأشياء تعلمها اليونانيون عن البابليين .

١١٠ — وهذا الملك هو الملك المصرى الوحيد الذى حكم الحبشة وقد خلف تذكاراً لعهده التماثيل الحجرية القائمة أمام معبد هيفايستوس . وهى مؤلفة من تمثالين لنفسه ولزوجه طول كل منهما ثلاثون ذراعاً [١] ، وتماثيل لأبنائه الأربعة طول كل منها عشرون ذراعاً ولم يسمح كاهن هيفايستوس بعد ذلك بأمد طويل لدارا الفارسى أن يقيم تمثاله أمامها محتجاً

(١) وجد تمثالان بهذا الوصف في معبد بتاح في ميت رهينه ، طول أحدهما ١٣ متراً ولعل هذا هو التمثال الذي رآه هيرودوت وقرر أن طوله ثلاثون ذراعاً أى ١٥ متراً تقريباً .

بأن دارا لم يقم بأعمال جليلة مثل ما قام به سيسوستريس المصرى . فمع أن سيسوستريس قد قهر شعوباً لا تقل عما قهر داراً ، فإنه إلى جانب ذلك ، قد قهر الاسكيثيين فى حين أن دارا لم يستطع أن يقهرهم . فلم يكن إذن من العدل أن يقام تمثاله أمام تمثال سيسوستريس مع أنه لم يبزه فى الأعمال وهم يقولون إن دارا قد أذعن لرأى الكاهن .

١١١ — ولما قضى سيسوستريس نحبه ، خلفه على العرش فيما يقولون إبنه فيروس[١] وهذا لم يقم بحملة حربية واحدة ، وقد حدث أن أصيب بالعمى من جراء الحادثة التالية : جاء النهر فى ذاك الوقت بفيض أعظم مما جاء به من قبل حتى بلغ إرتفاعه ثمان عشرة ذراعاً ، ولما فاض النهر على الحقول، هاج الريح وماج النهر . حينئذ تناول الملك ، وقد تملكه السخط ، رمحاً وألقى به فى وسط تيارات النهر ، فأصيب بعد ذلك مباشرة بمرض فى عينيه وعمى، وظل أعمى عشر سنوات . وفى السنة الحادية عشرة . جاءه الوحى من مدينة بوطو معلناً أن مدة عقوبته قد إنتهت ، وأنه سوف يبصر بعد أن يغسل عينيه ببول إمرأة لم يكن لها قط إتصال برجل غير زوجها . جرّب فيروس إمرأته أولا ولكنه لم يبصر . و بعد ذلك جرب جميع النساء الواحدة بعد الأخرى ، و بعد أن أبصر جمع كل النساء اللائى جربهن ، ما عدا تلك المرأة التى أبصر بعد الاغتسال ببولها ، فى مدينة واحدة وهى التى تسمى الآن « الطمى الأحمر » . و بعد أن ساقهن إلى المدينة أحرقهن جميعاً

(١) ليس ذلك إسماً وإنما هو في أغلب الظن تحريف اللقب « فرعون »

والمدينة كذلك . أما المرأة التى أبصر بعد الاغتسال ببولها ، فقد اتخذها زوجاً لنفسه . ولقد أقام لخلاصه مما أصاب عينيه نصباً فى كل المعابد الشهيرة أحقها بالذكر المسلتان الحجريتان الجديرتان بالمشاهدة ، اللذان أقامهما فى معبد الشمس وقد أتخذت كل منهما من حجر واحد . وطول الواحدة مائة ذراع وعرضها ثمان أذرع .

١١٢ — وخلفه على العرش فيما قالوا رجل من منف اسمه فى اللغة اليونانية پروتيوس [١] وله فى منف حرم بالغ الأناقة حسن الزينة ، قائم فى جنوب معبد هيفايستوس . ويقيم حول هذا الحرم فينيقيون من صور وتسمى هذه المنطقة كلها « معسكر الصوريين » .

ويوجد فى حرم پروتيوس معبد يسمى معبد أفروديت المغتربة ، وإنى أستنتج أن هذا المعبد كان معبد هيلين إبنة تينداروس وذلك لما سمعته من أن هيلين كانت تعيش مع پروتيوس ، ولأن المعبد يسمى معبد أفروديت المغتربة ، مع أنه من بين سائر معابد أفروديت لا يسمى معبد غير هذا معبد أفروديت المغتربة .

١١٣ — ولما سألت الكهنة أخبرونى أن هذه هى قصة هيلين : قالوا إن الاسكندر [٢] بعد أن خطف هيلين من إسبرطة ، كان يمخر البحر إلى

---

(١) ورد ذكر پروتيوس فى هوميروس باعتباره أحد آلهة البحر قابع عند الشاطىء المصرى (الأوديسية ٤ : ٣٨٥ وما بعده)

(٢) هو الابن الثانى لپرياموس ملك طروادة وزوجه هيكوبا ، ويعرف على الأكثر باسم پاريس، وقد خطف هيلين من إسبرطة وكان سبباً فى أشعال نار الحروب الطروادية ، (١١٩٢ — ١١٨٣ ق . م) .

بلده ، وحينما كان فى بحر إيجه ، طوحت به رياح جارفة إلى البحر المصرى وحيث أن الرياح لم تسكن فقد وصل ألى شاطىء مصر ، ومنه إلى ما يسمى الآن بفرع النيل الكانوبى والملاحات . وكان يقوم فوق الشاطىء — ولا يزال قائماً إلى الآن — معبد لهرقل إذا احتمى فيه عبد أيٍ من الناس ، ووسم نفسه بالعلامات المقدسة ، واهباً نفسه للإله ، لم يحل مسه لأحد . ولقد ظلت هذه السُنة نافذة كما هى منذ البدء إلى زمانى هذا . ولما علم خدم الإسكندر بالسنة المتبعة فى هذا المعبد ، تخلوا عنه ، وجثوا ضارعين، وشكوا الإسكندر للإله بغية إيذائه ورووا كل ما حدث من أمر هيلين والجرم المقترف فى حق مينيلاوس. وقدموا هذه الاتهامات إلى الكهنة و إلى حارس الفرع وكان إسمه ثونيس[(١)]

١١٤ — فلما سمع ثونيس بهذة الأنباء ، بعث بأسرع ما استطاع برسول إلى پروتيوس فى منف يقول « وصل رجل أجنبي تيوكرى الجنسى بعد أن اقترف جرماً إدّاً فى بلاد اليونان ، ذلك أن الأجنبي اغتصب زوج مضيفه نفسه وأخذها وجاء ومعه أموال جد طائلة . وقد طوحت به الرياح إلى بلادك ، فهل ندعه يقلع سلياً معافى أم نجرده مما جاء به؟ » . ورد پروتيوس على هذا السؤال برسالة يقول فيها « مهما يكن هذا الرجل الذى ارتكب ذلك الجرم فى حق مضيفه أقبضوا عليه وأرسلوه إلى حتى أرى ما عساه أن يقول »

---

(١) يقول ديودور الصقلى أن ثون أطلق اسمه على مدينة ثونيس وهي ميناء تجارية على الفرع البركانوبى من النيل . ك . ١ : ١٩ .

١١٥ — فلما سمع ثونيس هذا قبض على الإسكندر وأمسك مراكبه ، ثم ساق الاسكندر وهيلين والأموال فضلا عن العبيد الضارعين كذلك إلى منف ، فلما مثلوا فى حضرة پروتيوس ، سأل الاسكندر من يكون ومن أى مكان أقلع ، فسرد له الاسكندر نسبه ،وذكر إسم وطنه، وروى بالتفصيل رحلته من المكان الذى أقلع منه .

و بعد ذلك سأله پروتيوس من أين جاء بهيلين . فلما لم يلتزم جادة الصدق ولم يقل الحقيقة كذبه الذين كانوا يضرعون ورووا قصة جريرته بحذافيرها وأخيراً أعلن لهم پروتيوس رأيه قائلا « لو لم أكن أعلق أهمية كبيرة على ألا أقتل أحداً من الأجانب الذين تطوح بهم الرياح و يأتون إلى بلادى ، لأنزلت بك القصاص ثأراً لليونانى . فانك يا أدنأ الرجال ، بعد أن تمتعت بحسن الضيافة إرتكبت عملا فى غاية الشناعة والحطة بأن تهجمت على زوج مضيفك نفسه ، هذا إلى أن ذلك لم يكفك بل أطرت لبها وهربت معها بعد أن سرقتها كاللص . ولم يكفك هذا كله بل أنك سطوت على بيت مضيفك قبل أن تغادره . والآن فحيث أننى أعلق أهمية كبيرة على عدم قتل الأجانب،فلن أدعك تأخذ معك هذه المرأة والأموال ، بل سأحتفظ بها لمضيفك اليونانى إلى حين يشاء هو أن يأتى لاستردادها ، أما أنت ورفقاؤك فإنى أعلنكم بمغادرة بلادى إلى غيرها فى ظرف ثلاثة أيام ، فإن لم تفعل ، فسأعاملك معاملة العدو » .

١١٦ — تلك إذن هى قصة وصول هيلين إلى پروتيوس فيما يقول

الـكهنة ، و إنى أعتقد أن هوميروس كان على علم بهذه الرواية أيضاً ، ولكن حيث أنها لم تكن مناسبة لشعر الملاحم مثل الرواية الأخرى التى أخذ بها ، فقد أهملها . ولقد أوضح أنه كان على علم بهذه الرواية أيضاً . هذا جلىٌ ، ذلك بأنه جعل طواف الاسكندر فى الإلياذة تبعاً لهذه الرواية (وهو لم يراجع نفسه فيما ذهب إليه فى أى موضع آخر) إذ قال إن الإسكندر بعد أن صحب هيلين حِيد به عن طريقه ،و بعد أن هام على وجهه فى غير طريقه المرسومة وصل آخر الأمر إلى صيدا فى فينيقية . وهو يذكره فى قصة « بسالة ديوميديس[1] » حيث تقول الأبيات :

« وكانت هناك الأثواب المتنوعة التطريز ، صنع عقائل صيدا »
« اللائى ساقهن الإسكندر ، شبيه الإله نفسه ، من صيدا ماخراً »
« البحر الفسيح . وسالكاً نفس السبيل التى ساق فيها هيلين »
« الكريمة المحتد »

وذكرها أيضاً فى الأوديسية فى الأبيات التالية :[2]

« وكان لإبنة زيوس عقاقير ماهرة التحضير مفيدة أهدتها لها »
« پوليدامنا زوج ثون المصرية فالحقول الخصبة تنتج عقاقير كثيرة »
« كثير منها مفيد إذا خلط ، وكثير منها مضر »

---

(١) هذا هو عنوان الكتاب الخامس من الإلياذة . والسطور المقتبسة من الكتاب السادس ٢٨٩ — ٢٩٢ ، ولكن تقسيم الإلياذة إلى كتب يرجع إلى زينودوتوس فى القرن الثالث ق . م .

(٢) الأبيات من الأوديسية الكتاب الرابع ٢٢٧ — ٢٣٠

وفى البيتين التاليين أيضاً يخاطب مينيلاوس تليماخوس قائلا :

« وفى مصر أمسكتنى الآلهة، ولو أننى كنت شديد الشوق إلى الرجوع إلى هنا لأننى لم أضح لها بمائة ثور كاملة [1] »

يبين هوميروس فى تلك الأبيات أنه كان على علم تام برحلة الإسكندر إلى مصر ، لأن سوريا تقع على حدود مصر ، ولأن الفينيقيين وصيدا من بلدانهم ، يقطنون سوريا.

١١٧ — يتضح من هذه الأبيات وعلى الخصوص الأخيرة أن «الملحمة القبرصية » [2] ليست لهوميروس بل لشاعر آخر . فقد جاء في القصيدة القبرصية أن الإسكندر وصل إلى طروادة فى اليوم الثالث من رحيله من إسبرطه مع هيلين ، إذ صادف ريحاً مواتياً و بحراً هادئاً . هذا فى حين أنه يقول في الإلياذة أنه هام معها على وجهه . والآن فالوداع لهوميروس والملحمة القبرصية .

١١٨ — ولما سألت الكهنة عما إذا كانت الرواية التي يقصها اليونانيون عن طروادة لاطائل تحتها أم لا ، أجابوا — مؤكدين أنهم استقوا معلوماتهم من استوضاح مينيلاوس ذاته — قائلين إنه بعد سرقة هيلين، ذهبت إلى أرض تيوكريس قوة كبيرة مؤيدة لمينيلاوس ، و بعد أن وصل الجيش إلى البر وعسكر فى معسكراته، أرسلوا إلى طروادة سفراء وكان بينهم مينيلاوس نفسه.

---

(١) الأوديسية الكتاب الرابع ٣٥١ — ٣٥٢

(٢) كانت الملحمة القبرصية مؤلفة من سبعة كتب . ولم يبق منها إلا مقطوعات قليـــلة . وهي تنسب أحياناً إلى الشاعر ستاسيموس القبرصي الذي عاش حوالي سنة ٧٠٠ ق.م.

ولما نفذ هؤلاء داخل أسوار المدينة طالبوا بهيلين والأموال التى كان الإسكندر قد سرقها قبل رحيله ، وطالبوا بتعويض عما لحقهم من أضرار. أما أهل تيوكريس فقد قالوا إن لا هيلين ولا الأموال المطلوبة فى حوزتهم ، بل أنها كلها فى مصر ، وأنه ليس من العدل أن يؤدوا هم تعويضاً عن أشياء فى حوزة بروتيوس الملك المصرى . وأصروا على هذا القول عينه فى ذلك الحين وفيما بعد وأطلقوه مؤيداً بقسم و بغير قسم . وتخيل اليونانيون أنهم يغررون بهم وهكذا حاصروا المدينة إلى أن إغتصبوها . ولما استولوا على أسوار المدينة ولم تظهر هيلين بل جوبهوا بنفس القصة التى قيلت لهم من قبل ، تأكدوا من صحة القصة السابقة وأوفدوا مينيلاوس ذاته إلى بروتيوس .

١١٩ — وعند ما بلغ مينيلاوس مصر وأبحر إلى منف ذكر حقيقة الأمر ، ولاقى إكراماً بالغاً ، واستلم هيلين دون أن يمسها ضرٌ فضلا عن كل أمواله . و بالرغم مما لاقاه مينيلاوس فى مصر من حسن الضيافة فقد كان ظالماً للمصريين . ذلك أنه كان شديد الرغبة فى السفر فعاقه نوء شديد . ودام النوء وقتاً طويلاً ، فدبر أمراً حراماً . ذلك أنه أخذ ولدين لرجلين من أهل البلاد وجعلهما ضحية إسترضاء . ولما ظهر أنه إرتكب ذلك الأمر ، كرهه المصريون وطاردوه ، فاستقل مركباً وهرب على عجل إلى ليبيا . ولم يكن فى وسع المصريين أن يقرروا إلى أين اتجه بعد ترك ليبيا . وقد قالوا إنهم عرفوا بعض هذه الحقائق بالبحث ، وأنهم يتحدثون فى البعض الآخر عن علم يقين لأنها وقعت فى بلادهم .

١٢٠ — هذا إذن ماروواه كهنة المصريين ، وإنى شخصياً أوافق على روايتهم فيما يتعلق بهيلين للاعتبار التالى : لو أن هيلين كانت فى طروادة لرُدّت إلى اليونانيين رضى الإسكندر أو لم يرض. فمن المؤكد أنه لا پرياموس ولا الآخرون من أقاربه كانوا معتوهين إلى حدٍّ أن يرضوا بالمجازفة بحياتهم وحياة أبنائهم ليعاشر الاسكندر هيلين . وإذا سلمنا بأنهم رضوا بذلك فى المراحل الأولى من الحرب ، فإنه حينما كان يُقتل الكثيرون من سائر الطرواديين كلما التحموا باليونانيين ، وحينما كان يموت فى كل مرة تقع فيها الموقعة ، إثنان أو ثلاثة أو أكثر من ابناء پرياموس (إن جاز لأحد أن يلقى القول اعتماداً على شعراء الملاحم) فإنى أعتقد شخصياً أن پرياموس كان فى مثل هذه الظروف يرد هيلين إلى الأخائيين إن كان يستطيع بذلك أن يتخلص من متاعبه الملازمة . حتى إذا كان هو نفسه يعاشر هيلين . لا، ولم يكن ذلك لأن المملكة ستئول إلى الإسكندر وكانت مقاليد الأمور فى يديه لأن پرياموس كان قد صار شيخاً ، فإن هيكتور كان أكبر من الإسكندر ، وكان رجلا أفضل منه ، وكان على وشك تولى الملك بعد پرياموس . ولم يكن ينبغى لهكتور أن يحبّذ أخاه فى خطأه خصوصاً وأن مصائب فادحة قد انتابت هيكتور شخصياً ، وسائر الطرواديين عامة ، من جرائه .

ولكن الواقع أن هيلين لم تكن عندهم ليردوها ، ولا صدّقهم اليونانيون حينما قالوا لهم الحقيقة ولقد كان ذلك ، وإنى هنا أبدى رأيى الخاص ، من

تدبير الإله حتى يهلكوا هلاكاً ذريعاً فيظهروا لكافة الناس بذلك أنه إذا كانت الجرائم كبيرة كانت العقوبات التى تنزلها الآلهة كبيرة كذلك .

١٢١ — أورث پروتيوس المملكة – فيما قال الكهنة لرامپسينيتوس[١] الذى خلف تذكاراً لعهده بوابة معبد هيفايستوس التى تتجه نحو الغرب ، والتمثالين اللذان أقامهما أمام هذه البوابة ، وطول كل منهما خمس وعشرون ذراعاً . ويسمى المصريون التمثال القائم ناحية الشمال «الصيف» ، والتمثال القائم ناحية الجنوب الشتاء . أما التمثال المسمى الصيف فيكرمونه ويجلونه ، أما التمثال المسمى «الشتاء» فيعاملونه بالعكس . ويقال إنه قد تجمعت لهذا الملك ثروة طائلة من المال ، ولم يستطع واحد ممن خلفوه على الملك فيما بعد أن يبزه أو أن يداينه فى ذلك . ولما كان حريصاً على كنز هذه الأموال فى أمان فقد ابتنى خزانة من الحجر تمتد إحدى حوائطها إلى الجدار الخارجى للسراى . ولكن البنّاء لجأ إلى الحيلة الآتية ، لغرض خبيث فى نفسه . فقد هيأ الحجارة بحيث كان يمكن لرجلين أو حتى لرجل واحد أن ينزع أحداها بسهولة من الحائط . ولما كملت الخزانة ، كنز الملك أمواله فيها ، وبعد انقضاء ردح من الزمن ، وكان البنّاء قد قارب نهاية الحياة ، استدعى أولاده ، فقد كان له ولدان ، وشرح لهما بإيضاح طريقة نزع الحجر بأ كملها ، وأعطى لهما أبعاده ، وقال لهما أنهما إذا احتفظا بالأمر سراً ، فسيصبحان الأمينين على خزائن الملك . ولما انتهت حياة الأب ، لم ينتظر إبناه طويلا

(١) هو فيما يظهر رمسيس الثالث (١١٩٨ — ١١٦٧ ق . م) من الأسرة الثانية والعشرين ، وقد اشتهر بضخامة ثروته .

قبل أن يبدءا فى العمل ، وذهبا إلى السراى ليلا ، فوجدا الحجر بسهولة فى الجدار ، فنزعاه وحملا قدراً كبيراً من الأموال . واتفق أن فتح الملك الخزانه ، فدهش عند ما رأى حوافظ الأموال متضائلة ، ولكنه لم يستطع أن يوجه اللوم إلى أحد ، لأن الأختام كانت فى مواضعها والخزانة مغلقة . ولما فتح الخزانة مرة ثانية وثالثة ظهر له أن الأموال كانت فى كل مرة أقل مما كانت فى المرة السابقة ، ذاك أن اللصين لم يتراخيا فى السرقة . فلجأ الملك إلى حيلة بأن أمر بصنع شراك ووضعها بجانب الجرار التى وضعت فيها الأموال . وذهب اللصان إلى الخزانة كما اعتاذا فى الزمن السابق . ولما دخل أحدهما الخزانة ، وقرب من الجرار وقع من توه فى إحدى الشراك . وأدرك فى أية حالة من البؤس هو . فدعا أخاه على الفور وأطلعه على ما حدث له ، وأمره أن يدخل بأقصى سرعة و يقطع رأسه ، لئلا تعرف شخصيته حينما يوجد ، فيكون في ذلك القضاء على الثانى أيضاً . ورأى الثانى أن هذا الاقتراح حسن ، فاقتنع وأخذ به . وأعاد الحجر إلى مكانه ورجع إلى بيته حاملا رأس أخيه . فلما طلع النهار ، دخل الملك الخزانة ، ودهش عند ما رأى جثة اللص فى الشرك دون رأس، مع أن الغرفه كانت سليمة وليس فيها أثر دخول أو خروج البتة ولجأ الملك فى حيرته إلى الحيلة الآتية : علق جثة اللص من فوق الحائط ، وأمر الحراس الذين وكل اليهم أمر حراستها أن يقبضوا على من يرونه باكيا أو نادباً . ولما علقت الجثة حزنت الأم حزناً شديداً وساقت الحديث إلى ابنها الباقى ، وأوصته بأن يحتال بأى

وسيلة استطاع حتى يفك جثة أخيه و ينقلها . وأنذرته إن هو أهمل وصيتها أن تذهب إلى الملك ، وتخبره بأن الأموال فى حوزته . واستمرت الأم فى مُرّ تأنيبها لإبنها الباقى ، ووجه إليها هذا كلاماً كثيرا فلم يستطع إقناعها . فلجأ إلى الحيلة الآتية : جهز حميراً وزقاقاً ملأها بالنبيذ ، ووضعها على ظهور الحمير وساقها . ولما واجه المكان الذى فيه الحراس الذين يحرسون الجثة المعلقة شد الزقاق اليه ، وفك إثنتين أو ثلاث من رقاب الزقاق المربوطة ، ولما بدأ النبيذ يسيل أخذ يضرب رأسه و يصيح عالياً ، كأنه لا يدرى إلى أى الحمير ينصرف أولاً . ولما رأى الحراس النبيذ يسيل مدراراً ، جروا جميعاً إلى الطريق حاملين أوانى وملؤها من النبيذ المتدفق حاسبين الخمر غنماً . أما هو فتصنّع الغضب وسبهم أجمعين . ولما جعل الحراس يواسونه ، تصنع كأنه قد هدىء بعد حين وأن غضبته قد خمدت . وأخيراً ساق الحمير من الطريق ، وجعل يصلح من شأنها . وجرى بينهم سمر طويل ، ومزح معه الحرّاس حتى أنهم دفعوه إلى الضحك ، فأعطاهم إحدى الزقاق . وعقد الحراس النية على الجلوس والشرب دون احتفال واستضافته . فطلبوا إليه أن يبقى معهم و يشاركهم فى الشرب . فوافق هو بالطبع و بقى و بينما هم يشربون حبوه ببشر فأعطاهم واحدة أخرى من الزقاق أيضاً . و بعد أن تعاطى الحراس خمراً كثيراً ، صرعهم السكر ، وغلبهم النوم ، فناموا حيث كانوا يشربون . أما هو ، فلما تقدم الليل ، فك جثة أخيه ، وحلق الجانب الأيمن من ذقون جميع الحراس على سبيل السخرية ، ووضع الجثة على ظهور

الحمير وساقها إلى منزله ، وقد أدى ما أوصت به أمه .

وقد اغتاظ الملك غيظاً عظيما حينما حمل اليه النبأ بأن جثة اللص قد سرقت ، وأراد أن يقع قبل كل شيء على الرجل الذى دبّر ذلك . فلجأ إلى الحيلة الآتية فيما يقولون ، ولو أننى لا أصدقها . وضع إبنته فى ماخور وأمرها بأن تستقبل كل من يأتيها على السواء ، وأن تجعل كل واحد يقص عليها أدهى وأخبث ما صنع فى حياته . فإذا روى لها أحد ما حدث فى أمر اللص تمسك به ولا تدعه يفلت . ولما نفذت الابنة ما صدر عن أبيها من أوامر ، تصرف اللص على النحو التالى فقد كان يعلم الأغراض التى صنع الملك ذلك من أجلها ، وكان يريد أن يبز الملك فى المكر : قطع ذراع جثة حديثة الموت من الكتف ، وذهب إليها حاملا إياها تحت ردائه . ولما دخل على إبنة الملك وجهت اليه السؤال الذى توجهه إلى الآخرين ، فقال لها إن أخبث ما صنع هو قطع رأس أخيه عند ما وقع فى شرك فى خزانة الملك. أما أدهى أعماله فإسكار الحراس وفك جثة أخيه المعلقة . فلما سمعت البنت ذلك حاولت أن تمسك به فمد لها اللص فى الظلام ذراع الجثة ، فأمسكت بها وأطبقت عليها معتقدة أنها قابضة على ذراعه هو . أما اللص فترك لها الذراع وخرج من الباب هارباً . فلما حملت هذه الأنباء كذلك إلى الملك ، تولاه العجب لدهاء هذا الرجل وجرأته ، وأخيراً أرسل إلى كافة المدن معلنا أنه اذا جاء الرجل الى حضرة الملك فإنه يؤمنه على حياته ويعده بوعود كثيرة . فوثق به اللص ، وذهب اليه،فأعجب به رامبسينيتوس

كثيراً ، وزوّجه من إبنته هذه ذاتها باعتباره أكثر الناس دهاء . وقال إن المصريين يفوقون سائر الشعوب فى الدهاء ، وهذا الرجل يفوق جميع المصريين [١]

١٢٢ — ويقول المصريون إن هذا الملك هبط بعد ذلك إلى المكان الذى يعتقد المصريون أنه العالم السفلى ، وهناك لعب النرد مع ديميتير ، وغلبها أحياناً وأحياناً غلبته ، وأنه رجع ثانية حاملا منديلا مذهباً هدية منها . ويرجع إلى هبوط رامپسينيتوس وصعوده ثانية إحياء المصريين — فيما يقولون — لعيدٍ لايزالون يحيونه فيما أعرف شخصياً إلى زمانى هذا ، ولو أننى لا أستطيع على أية حال أن أجزم بأنهم بدأوا بإحيائه من أجل هذه الحادثة . ففى اليوم المعين للعيد يفرغ الكهنة من نسج ثوب ، ثم يعصبون عينى أحدهم بعصابة ، ويسوقونه وقد ارتدى الثوب إلى الطريق المؤدية إلى معبد ديميتير، ثم يعودون أدراجهم على الفور . أما ذلك الكاهن فيقوده فيما يقولون ذئبان إلى معبد ديميتير الذى يبعد عن المدينة بمقدار عشرين ستاداً . ثم يقوده الذئبان [٢] راجعين على الفور إلى البقعة عينها .

١٢٣ — وللمرء أن يأخذ بأقوال المصريين هذه إذا صدّق أمثال هذه الروايات أما أنا فديدنى فى كل هذا التاريخ أن أسجل ما أسمع من أقوال

---

(١) القصة مصرية قديمة استهوت الشعب وعاشت فى خياله محتفظة بطابعها المصرى القديم ، ولم يتردد ماسپيرو فى ضمها إلى مجموعة الأدب الشعبى المصرى القديم .
(٢) يُرى ابن آوى على الآثار المصرية وهو يمثل أنوبيس الذى يقود الموتى .

من أيه جماعة . فالمصريون يقولون إن ديميتير وديونيسوس يحكمان العالم السفلى، هذا إلى أن المصريين هم أول من قال بعقيدة أن روح الإنسان خالدة وأنها تنتقل دائما متى هلك الجسم ، إلى كائن آخر ، وعندما تذهب بالتتابع إلى جميع المخلوقات على الأرض وفى الماء وفى الهواء ، ترجع من جديد إلى جسم الانسان حين ميلاده ، ويقولون إن دورة الروح تتم فى ثلاثة آلاف عام[١] . ولقد أخذ كتاب من اليونانيين بهذا المذهب ، بعضهم متقدم وبعضهم متأخر ، ونادوا بهذا المذهب كأنه مذهبهم ، وإنى مع معرفتى بأسمائهم لا أسميهم .

١٢٤ — ويقولون إنه إلى عهد الملك رامبسينيتوس كانت فى مصر حكومة صالحة من جميع الوجوه ، وكانت مصر مزدهرة ازدهاراً عظيما . وبعده صار كيوبس[٢] ملكا عليهم ، ودفع بهم إلى جميع أنواع الموبقات ، ذلك أنه أغلق جميع المعابد ومنع المصريين من التضحية أولا ، وبعد ذلك أمر جميع المصريين بالعمل من أجله ، فأمر بعضهم بجر الحجارة من المحاجر الواقعة فى الجبال العربيه إلى النيل ، وعهد إلى غيرهم ، بعد نقلها عبر النهر بالمراكب ، باستلامها ونقلها إلى تلك الجهة التى تدعى الهضبة الليبية . وكانوا يعملون بغير انقطاع فى جماعات مؤلفة من ١٠٠٠٠٠ رجل ، تعمل كل منها ثلاثة أشهر . أما عن الوقت فقد استلزم إقامة الطريق الذى جروا عليه

---

(١) تناسخ الأرواح من المعتقدات الشعبية التي لم تجد طريقها الى النصوص المقدسة

(٢) هو خوفو من فراعنه الأسرة الرابعة (٢٧٠٠ ق . م) تقريبا وهو باني الهرم الأكبر .

الأحجار ، عشر سنوات من الضغط على الشعب . وهو عمل لا يقل كثيراً فيما يبدو لي عن بناء الأهرام ، فإن طول هذا الطريق خمسة ستاد ، وعرضه عشره أبواع ، وعلوه في أقصى إرتفاعه ثمانية أبواع ، وهو مبنى من حجارة مصقولة منقوش فيها صورحيوانات . وقد صرف في بناء هذا الطريق والغرف التي تحت الأرض في التل الذي يقوم عليه الأهرام عشر سنوات، وهذه الغرف التي تحت الأرض ، وقد جعلها مقابر لنفسه في جزيرة ساق إليها ماء النيل بوساطة قناة . وانقضى من الوقت في بناء الهرم نفسه عشرون سنة . وهو مربع طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية بليثرا و إرتفاعه مثل ذلك، وهو مبنى من حجر مصقول ملصق بعضه ببعض بدقة فائقة ، وليس فيه حجر واحد يقل طوله عن ثلاثين قدماً .

١٢٥ — وهذه هي طريقة بناء الهرم : بني أولا بشكل سلالم ويسميها البعض درجات والبعض الآخر هيا كل ، وبعد أن بنوها على هذا النحو باديء ذي بدء رفعوا الأحجار الأخرى بواسطة آلات من ألواح خشبية قصيرة ، فهم يرفعون الأحجار من الأرض إلى الطبقة الأولى من الدرجات، وبعد أن يرفع الحجر إلى هذه الطبقة يوضع على آلة أخرى قائمة على الطبقة الأولى ، ومنها يرفع إلى الطبقة الثانية ومنها يوضع في آلة ثالثة . فقد كان هناك آلات بعدد الدرجات ، أو لعلها كانت آلة واحدة ، صنعت بحيث يسهل نقلها ، فكانوا ينقلونها من طبقة إلى أخرى كلما فرغوا من نقل الحجارة في طبقة بعد طبقة . ومن الواجب على أن أثبت الروايتين لأن

المصريين يقولون بالروايتين كلتيهما . وقد أكلوا أولاً الجزء الذى فى القمة ثم بعد ذلك أكلوا الأجزاء التالية وأخيراً انتهوا من الأجزاء السفلى القريبة من الأرض . ويوجد على الهرم نقش بالحروف المصرية يذكر كم من المال صرف على الفجل والبصل والثوم للعمال، وإذا لم تخنى الذاكرة فيما قاله الترجمان عندما كان يقرأ النقش ، فإن المبلغ الذى صرف فى ذلك كان ١٦٠٠ طالنط من الفضة . فإذا كان الأمر كذلك فكم كانت النفقات التى بذلت بالإضافة إلى هذا على الآلات الحديدية التى إشتغلوا بها ، وعلى مأكل العمال وملبسهم ، إذا كان الوقت الذى قضوه فى العمل كان كما ذكرت فى موضع آخر ، وأنهم صرفوا وقتاً غير قليل ، فيما يخيل إلىّ ، فى قلع الأحجار ونقلها وفى حفر القناة الجوفية [١] ؟

١٢٦ — وقد إنحدر كيوبس فيما يقولون إلى درك سحيق من الانحطاط ، حتى أنه عندما أعوزه المال ، وضع إبنته فى ماخور وأمرها أن تتقاضى مبلغاً معيناً ، لم يقولوا لى كم . وفضلا عن تقاضيها ما أراد أبوها فقد عقدت نيتها على ترك نصب خاص بها . ولذلك فقد كانت تطلب من كل رجل يزورها أن يهدى إليها حجراً ليستخدم فى هذا النصب ، وقد بُنى من هذه الأحجار الهرم الذى يقع فى منتصف الثلاثة وهو أمام الهرم الأكبر ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعه مائة وخمسون قدماً .

١٢٧ — وحكم كيوبس فيما يقول المصريون خمسين عاماً ، وبموته تولى

---

(١) راجع (١٢٤)

الملك أخوه خفرع ، وانتهج هذا نهج أخيه فى جميع الأمور وفى إقامة هرم ، ولكن هرمه لا يبلغ حجم هرم أخيه . وإنا نعلم ذلك لأننا قسنا الهرمين جميعاً . هذا إلى أنه لا يشتمل على غرف تحت الأرض ، ولا تتصل به قناة من النيل مثل التى تتصل بالهرم الأكبر . ففى هذا الهرم الآخر تسير القناة فى مجرى ذى جوانب مرصوفة ، وتحيط بجزيرة يرقد فيها فيما يقولون كيوبس وقد بنى الطبقة الأولى التى تكون الأساس من حجر حبشى ملون . ومع أن هذا الهرم يقل بمقدار أربعين قدماً عن الهرم الآخر فى الارتفاع ، فقد ابتناه على مثل ضخامة الهرم الأكبر عينها وبالقرب منه . ويقع كلاهما فى تل واحد إرتفاعه مائة قدم تقريباً ، وحكم خفرع فيما قالوا ستاً وخمسين سنة .

١٢٨ — وهم يعدون هذه السنوات الست والمائة فترةً كان فيها المصريون فى غاية من البؤس . فقد كانت المعابد مغلقة أثناء تلك الفترة ، ولم تفتح فيها أبداً . ولا يحب المصريون أن يذكروا إسمى هذين الحاكمين على الإطلاق لكرههم لهما ، بل إنهم يدعون هرميهما بإسم الراعى فيليتيوس[1] الذى كان يرعى الأغنام فى تلك الأنحاء فى وقت بنائهما .

١٢٩ — وبعد هذا الملك تولى حكم مصر فيما يقولون منقرع بن كيوبس ولم يوافق هذا على أعمال أبيه ، وفتح المعابد ، وترك الناس وقد أرهقوا إلى حضيض البؤس يؤبون إلى أعمالهم وتضحياتهم ، وأصدر

(١) لعل فى ذكر فيليتيوس الراعى صدى بعيد لحكم الهيكوس — الملوك الرعاة — والإسم يشير من بعيد إلى فلسطين وقد كان الفلسطينيون بعضاً من الغزاة .

أحكاماً كانت أعدل من أحكام سائر الملوك ، وهم من أجل ذلك يمدحونه بوجه خاص أكثر من جميع الملوك الذين حكموا مصر . وفضلا عن إصدار أحكام عادله فقد عوض من ماله الخاص حقاً كل من لم يرض عن أحكامه وهكذا هدأ سخطهم . وفيما هو رحيم برعيته ودائب على عمل الخير ، بدأت مصائبه أولاً بموت إبنته . وهى الإبنة الوحيدة التى كانت له فى القصر . فكان حزنه شديداً للرزء الذى أصابه ، وأراد أن يدفن ابنته بطريقة خارقة للمألوف ، فأمر بصنع بقرة من الخشب جوفاء ، ثم ذهّبها ودفن فى داخلها إبنته المتوفاه .

١٣٠ — ولم تغيّب هذه البقرة فى الأرض ، بل إنها إلى يومنا هذا بادية للعيان ، موضوعه فى مدينة سايس فى غرفة مزينة فى القصر الملكى . وهم يحرقون لها البخور فى كل يوم من جميع الأنواع طوال النهار ، ويوقدون لها مصباحاً طوال الليل . وتوجد بالقرب من البقرة ، فى غرفة أخرى تماثيل لسرايا منقرع ، فيما يقول كهنة مدينة سايس ، فهناك تماثيل ضخمة من الخشب تبلغ العشرين عداً تقريباً ، وهى مصنوعة على هيئة نساء عرايا ، وإنى لا أستطيع أن أقطع فيمن عسى أن يكن هؤلاء ، إلا بما قيل لى .

١٣١ — يروى البعض هذه القصة التالية فى البقرة والتماثيل الضخمة : تعلق منقرع بحب إبنته واغتصبها ، فخنقت الأبنة نفسها بعد ذلك كمداً ، فدفنها الملك داخل هذه البقرة ، أما الأم فقد قطعت أيدى الوصيفات اللائى وضعن البنت بين يدى أبيها ، وعلى هذا فالتماثيل مشوهة كما كانت الوصيفات

أنفسهن مشوهات فى الحياة . ولـكنى أعتقد أن هذه القصة لاطائل تحتها خصوصاً فيما يتعلق بأيدى التماثيل، فإن الأيدى قد تهاوت بفعل الزمان كما رأينا بأنفسنا ، فهى ترى ملقاة على الأرض تحت أقدام التماثيل حتى إلى يومنا هذا .

١٣٢ — وجسم البقرة كله مغطى بكساء أحمر فيما عدا الرقبة والرأس فهى مكسية بطبقة سميكه جداً من الذهب ، ويوضع فيما بين القرنين قرص الشمس مصوراً بالذهب . والبقرة ليست قائمة بل جاثمة على ركبها ، وهى فى حجم بقرة ضخمة حية . وتخرج البقرة مرة فى السنة وذلك عند مايحدّ المصريون على الإله[1] الذى لا أسميه فى هذا الصدد ، ففى هذه المناسبة تنقل البقرة إلى ضوء النهار . فهم يقولون إن البنت عند موتها التمست من أبيها أن ترى الشمس مرة واحدة فى السنة .

١٣٣ — وبعد موت إبنته ، أصابت ذلك الملك فيما يقول الـكهنة مصيبة ثانية على النحو التالى : جاءه الوحى من مدينة بوطومنبئاً بأنه سوف يعيش ستة سنين فقط ويموت فى السنة السابعة . غضب الملك لذلك ، وأرسل إلى الوحى يرد عاتباً على الإله أن أباه وعمه اللذان أغلقا المعابد ولم يذكرا الآلهة ، بل أهلكا الناس ، قد عاشا زمناً طويلا وهو التقى يوشك أن يموت بهذه السرعة . وجاءه الرد ثانية من الوحى قائلا إن حياته قد اقتُضِبت لهذه الاعتبارات، ذلك بأنه لم ينفذ ما وجب عليه تنفيذه ، فقدكان

(١) يعنى أوزيريس ، راجع (٦١) ، (٨٦)

قد قضى على مصر أن تشقى مدة مائة وخمسين عاماً ، ولقد فهم الملكان اللذان حكما مصر قبله ذلك القضاء ، ولم يدركه هو . لما سمع منقرع هذا الرد أدرك أن مصيره قد تقرر ، فأمر بصنع مصابيح كثيرة، وكان يشعلها كلما جن الليل ، و يشرب و يمجن لا يتوقف نهاراً أو ليلا . وسافر إلى المستنقعات والغابات و إلى حيثما بلغه أنه يوجد مسارح لهو مستحبة . أراد بهذا التصرف أن يُظهر أن الوحى كاذب ، وكان هدفه أن تصبح السنوات الست ، وقد إنقلب الليل نهاراً ، إثنتى عشرة سنة .

١٣٤ — وترك هو الآخر هرماً ، ولكنه يقل كثيراً عن هرم أبيه . وهو مربع القاعدة ينقص عنه كل ضلع بمقدار عشرين قدماً فى كل ثلثمائة قدم وهو إلى نصفه من الحجر الحبشى . و يذهب بعض اليونانيين إلى أنه أقيم للغانية رودو پيس وهم فى ذلك مخطئون ، بل إنهم كما اتضح لى ، يقولون هذا وهم لا يعرفون من عساها أن تكون رودو پيس هذه ، فلو عرفوها ما نسبوا مثل هذا الهرم إليها ، فقد أُنفِق عليه ما لا يحصى من آلاف الطالنط كما نقول . وفضلا عن هذا فإن رودو پيس قد ازدهرت فى عهد الملك أمازيس وليس فى عهد منقرع . و إذن فقد عاشت رودو پيس بعد هؤلاء الملوك الذين خلّفوا هذه الأهرام بسنين عدَدَا. وكان أصلها من تراقيا ، وكانت سرية لإيدامون بن هيفايستو پوليس وهو من جزيرة ساموس وكانت زميلة فى الرق لأيسو پوس (١) القاص. أما أن أيسو پوس كان عبداً لإيدامون فيتضح

(١) قاص أو راوية للقصص، عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، ولكن كثيراً من القصص المنسوبة إليه كانت معزوفة قبله، وهو لم يدون قصصه شأنه فى ذلك شأن سقراط.

جلياً و بوجه خاص من الحادثة الآتية : لما كرر سدنة دلفى، بأمر من الوحى ، النداء بأن من يريد أن يأخذ دية أيسوپوس فليتقدم ، لم يتقدم أحد آخر غير إيدامون آخر هو حفيد الأول . وعلى هذا كان أيسوپوس هو الآخر ملـكاً لإيدامون .

١٣٥ — ولقد جاءت رودوپيس إلى مصر مصحوبة بكزانثيوس من أهل ساموس ، جاءت لمباشرة حرفتها ، وأعتقها خراكسوس المتيليني بمبلغ كبيرمن المال ، وهو إبن سكاماندرونيموس وأخو الشاعرة سافو[1] وهكذا صارت رودوپيس امرأة حرة . و بقيت فى مصر حيث جمعت ، لكونها شديدة الفتنة ، ثروة كبيرة بالنسبة لامرأة مثل رودوپيس ولـكنها ليست كبيرة إلى حد أن تكفى لتشييد هرم كهذا . ولا يزال من الميسور لكل من يريد أن يتحقق من ثروتها أن يرى إلى يومنا هذا عُشر هذه الثروة ، فلا ينبغى أن نعزو لها ثروة كبيرة . فقد أرادت رودوپيس أن تترك فى بلاد اليونان تذكاراً لها ، فأمرت بصنع شىء لم يتفق لغيرها أن يقع على مثله أو يهديه للمعبد ، ووضعته فى دلفى تذكاراً لها . نعم أمرت بأن يصنع بعُشر ثروتها سفافيد من حديد من التى تستخدم فى شىّ البقر ، وجعلتها كثيرة بقدر ما يفى عُشر الثروة ، وأرسلتها إلى دلفى . ولا تزال هذه السفافيد إلى الآن مكوّمة هناك ، وراء الهيكل الذى أهداه الخيو يون ، وأمام المحراب ذاته . ولأمر ما تبدو غوانى نوقراطيس عادة فى غاية الفتنة . فالأمر لا يقتصر على

(١) شاعرة لسبوس الشهيرة عاشت حوالى سنة ٦٠٠ ق . م

تلك المرأة الذى كان كلامنا دائراً عليها وحدها ، والتى اشتهرت إلى حد أن كل اليونانيين كانوا يعرفون اسم رودو پيس ، بل إنه فى عصر متأخر كانت هناك غانية أخرى إسمها أرخيديكى اشتهرت فى طول بلاد اليونان وعرضها بأغانيها ، ولو أن إسمها كان أقل دوراناً على الألسنة من الأخرى . ولما أعتق خرا كسوس رودو پيس ورجع إلى ميتيلينى ، سخرت منـه سافو كثيراً فى أشعارها . ولنقف عند هذا الحد فيما يتعلق برودو پيس .

١٣٦ — و بعد منقرع أصبح أسوخيس[1] فيما يقول الـكهنة ملـكا على مصر ، وهو الذى شيد المدخل الشرقى لمعبد هيفايستوس ، وهو أبهى المداخل وأضخمها بكثير . فمع أن كل المداخل فيها أشكال محفورة وآلاف الصور ومناظر زخرفية أخرى لا تحصى ، فإن هذا المدخل أبهاها ببعيد . و يقولون إنه فى عهد ذلك الملك قل تداول النقد قلة شديدة ، فصدر فى مصر قانون يخول للرجل أن يستدين بوضع جثة أبيه رهناً ، وهكذا يستلم المبلغ . وأضيفت إلى هذا القانون مادة تخول الدائن سلطة مطلقة على مقبرة المدين كلها ، فإذا لم يشأ المدين الذى قدم ذلك الرهن أن يفى بالدين ، كانت عقوبته ألا يدفن عند موته ، ولا أن يدفن أى فرد آخر من أفراد عائلته ، لا فى مقبرة أهله ولا فى أى مقبرة أخرى . وأراد ذلك الملك أن يبز من سبقوه من ملوك مصر فترك هرماً من اللبن ، وعليه نقش

(١) المرجح أنه الملك شب — سيس — كاف وهو آخر ملوك الأسرة الرابعة . عاش حوالى سنة ٢٦٠٠ ق . م .

محفور فى الحجر يقول « لا تحتقرنى بالقياس إلى الأهرام الحجرية ، فإنى أفضلها كما يفضُل زيوس سائر الآلهة ، فقد ألقى الناس فى البحيرة مسباراً ، فتعلّق بعض الطين بالمسبار ، جمع الناس هذا الطين وصنعوا منه لبنات ، وبهذه الطريقة شيدونى » تلك هى الأعمال التى قام بها هذا الملك .

١٣٧ — وبعد ذلك الملك تولى الملك رجل أعمى من مدينة أنيسيس ، واسمه أنيسيس ، وفى عهد هذا الملك غزا سباكو [١] ملك الأحباش مصر بقوة كبيرة أما الأعمى فقد فرّ هارباً إلى المستنقعات ، وأما الحبشى فحكم مصر مدة خمسين عاماً ، كان سلوكه فيها على النحو التالى : كلما ارتكب أحد من المصريين جرماً ما ، لم يشأ أن يقتل واحداً منهم ، بل كان يقضى فى كلٍ بما يتفق وضخامة الجرم ، ويأمر كلا بإقامة السدود فى المدينة التى جاء منها كل واحد من المجرمين ، وهكذا أصبحت المدن أكثر ارتفاعاً عن ذى قبل ، لأنها بعد أن كانت قد إرتفعت أول الأمر بفضل الذين حفروا القنوات فى عهد سيسوستريس ، ارتفعت ثانية من جراء هذه العمليات فى عهد الملك الحبشى ، وأصبحت شديدة العلو ، ومع أن سائر المدن المصرية مرتفعة ، فأرض المدينة فى بوباسطيس ، فيما يخيّل إلىّ ، مرتفعه بوجه خاص ، وفيها معبد بوباسطيس ، وهو عظيم الجدارة

(١) هو شباكا من الأسرة الخامسة والعشرين التى تتألف بحسب قول مانيتو من ثلاثة ملوك فقط هم : شباكا ، وشباتاكا ، وطهراقا . وذكر ديودور أنها تتألف من أربعة ملوك . وليس فى الوثائق القديمة ما يدعم ما ذكره هيرودوت من أنهم كانوا ثمانية عشر ملكا .

بالوصف ، وقد يكون غيره من المعابد أضخم منه حجماً ، وأبهظ نفقات ، ولكن ليس فيها معبد واحد يفوقه بهجة للنظر ، والإلهة بوباسطيس هى فى اللغة اليونانية أرتميس .

١٣٨ — وهذا هو وصف المعبد : يقوم كله فيما عدا المدخل على جزيرة، إذ ينساب من النيل فرعان لا يلتقيان ببعضهما ، ولكنهما يجريان كل على حدة إلى مدخل المعبد ، ويحفّان بالمعبد كل من جانب ، وعرض كل من الفرعين مائة قدم وتظللهما الأشجار . أما المدخل فلرتفاعه عشرة أبواع ، ومزخرف بأشكال طولها ستة أقدام وهى جديرة بالوصف . ويقع المعبد فى وسط المدينة ، ويُرى من جميع الجهات إذا درت حوله . ذلك بأنه فى حين أن المدينة قد ارتفعت لم يرتفع المعبد عن المستوى الذى كان عليه يوم شُيِّد أولاً ، فهو لهذا ظاهر . ويحيط بالمعبد سور نقشت فيه أشكال ، وفى داخل السور بستان ذو أشجار باسقة نامية حول المحراب الكبير الذى يوجد داخله تمثال الإلهة . ويبلغ طول المعبد وعرضه فى جميع الجهات ستاد ، ويوجد بحذاء المدخل طريق مرصوف بالحجارة ، لمسافة ثلاثة ستاد تقريباً ، وهو يمتد شرقاً مخترقاً السوق ، وعرضه أربعمائة قدم ، وتنمو على جانبى هذا الطريق أشجار تبلغ عنان السماء ، وهو يؤدى إلى معبد هرمس . ذلك إذن هو وصف المعبد .

١٣٩ — وكان خروج الحبشى النهائى من مصر على هذا النحو : أسرع بالفرار بعد أن رأى حلماً فى منامه . رأى كأن رجلا يقف إلى جانبه وينصحه

بأن يجمع كل كهنة مصر ويقطعهم من الوسط . فقال بعد أن رأى هذا الحلم أنه يخيل إليه أن الآلهة تحيك له شركا حتى إذا إنتهك حرمة الأشياء المقدسة أصابه الضر من الآلهة أو الناس ، وأنه لن يفعل هذا ، بل إن الوقت الذى قُضِىَ بأن يحكم فيه مصر قد إنقضى ولم يبق إلا الإنسحاب . ذلك بأنه عندما كان فى الحبشة أعلن الوحى الذى يستنبؤه الأحباش أنه قد قُضِى بأن يكون ملكاً على مصر مدة خمسين عاماً ، وحيث أن هذه الفترة قد انقضت الآن ، وأن الحلم الذى رآه فى منامه كان يزعجه ، فقد إنسحب سباكو من مصر مختاراً .

١٤٠ — وحالما قفل الحبشى راجعاً من مصر ، جاء الأعمى وحكمها ثانية إذ أنه كان قد ابتنى جزيرة فى إقليم المستنقعات بركام الرماد والتراب . وظل يعيش عليها طيلة الخمسين عاماً . فإنه أمر كل واحد من المصريين (وقد كان مقرراً أن يزوروه حاملين الطعام خلسة من الحبشى) أن يحضروا معهم كلما جاءوا رماداً أيضاً بمثابة هدية . ولم يستطع ملك واحد قبل أميرتيوس أن يقع على هذه الجزيرة ، فالملوك الذين سبقوا أميرتيوس لم يوفقوا فى العثور عليها مدة تزيد على سبعمائة سنة . واسم هذه الجزيرة هو إلبو وامتدادها فى جميع الجهات عشرة ستاد .

١٤١ — وتولى بعده الحكم كاهن هيفايستوس واسمه سيثوس[1] وقد عامل المحاربين المصريين بامتهان وازدراهم ظاناً أنه لن يحتاج إليهم .

(١) لم يرد ذكره فى غير هذا الموضع من الأدب القديم . ولعله كان كاهناً مصرياً يحكم فى مصر السفلى تحت سلطان الأحباش . ويذهب البعض إلى أن كلمة سيثوس هى تحريف للفظة المصرية « ستنى » لقب الكاهن .

ولقد أبدى نحوهم كثيراً من مظاهر الامتهان منها أنه جردهم من أقطاعاتهم، مع أنهم كانوا يعطون كل واحد منهم فى عهد من سبقه من الملوك قطعة منتقاة مساحتها اثنا عشر فداناً . و بعد ذلك ساق سانخاريب[١] ملك العرب والآشوريين جيشاً عظيما على مصر . ورفض المحاربون المصريون طبعاً أن يساعدوا ملكهم . ولقد وجد الكاهن نفسه فى مأزق فذهب إلى المحراب وندب أمام التمثال ما يحيق به من بؤس . وفيما هو يندب أخذه النوم ، وخيل له فى الحلم كأن الرب يقف بجانبه يشد إزره قائلا إنه لن يصيبه ضر إذا خرج لملاقاة الجيش العربى ، وذلك لأن الرب ذاته سيرسل إليه من يساعدونه . إعتمد على هذه النبؤات وأخذ معه من المصريين من رغب فى اتباعه وعسكر فى پيلوزيوم، فهناك المنافذ إلى القطر . ولم يتبعه واحد من المحاربين بل تبعه تجار وصناع و باعه . ولما وصلوا إلى هناك هجمت على أعدائهم بالليل أسراب من الفئران[٢] البرية ، وقرضت جعبهم وأقواسهم وحمائل دروعهم كذلك ، حتى أنهم فروا فى اليوم التالى وقد أصبحوا عزلا من السلاح ، وسقط منهم الكثيرون ، و إلى الآن يقوم تمثال حجرى لهذا الملك فى معبد هيفايستوس حاملا فى يده فأراً ، عليه نقش يقول « فليتق الله كل من ينظر إلى »[٣]

---

(١) سانخاريب ملك الأشوريين غزا مصر في أوائل القرن السابع ق . م وطُـرد من مصر في عهد طهراقا الذى ينتهى سنة ٦٦٣ ق . م .

(٢) الفأر رمز الطاعون عند اليونانيين

(٣) كان الفأر مقدساً للاله حورس فى مدينة بوطو ، ويظهر أن مصدر القصة كان صورة لكاهن حورس يحمل الفأر رمز الإله .

١٤٢ — القول إلى هذا الحد من تاريخنا قول المصريين وكهنتهم ، وقد بينوا لى أنه قد عاش منذ أول ملك إلى كاهن هيفايستوس هذا وهو آخر الملوك واحد وأربعون وثلثمائة جيل من الناس . وكان عندهم عدد من الملوك والكهان يماثل عدد الأجيال . والآن ، فإن ثلثمائة جيل من الناس تساوى عشرة آلاف عام لأن القرن مكون من ثلاثة أجيال . ويبلغ ما تشتمل عليه الأجيال الواحد والأربعون الباقية ١٣٤٠ عاماً . وهم يقولون أنه فى ١١٣٤٠ سنة لم يظهر إله واحد فى هيئة إنسان . وقرروا أنه لم يظهر شىء من هذا القبيل فى عهود ملوك مصر الباقين لا من قبل ولا من بعد . هذا ولكنهم يقولون أنه فى تلك الفترة قد طلعت الشمس من غير مواضعها المعهودة أربع مرات ، فأشرقت مرتين حيث تغرب الآن وغربت مرتين حيث تشرق الآن ، وأنه لم يتغير شىء فى مصر من جراء هذا لا فى غلة الأرض ولا فى نتاج النهر ، ولا فيما يتعلق بالأمراض أو الموت .

١٤٣ — ولما كان هيكاتيوس [١] المؤرخ فى طيبة فيما مضى تتبع نسبه ووصل بآبائه إلى إله فى الجيل السادس عشر قبله ، وقد صنع معه كهنة زيوس مثل الذى صنعوه معى مع أننى لم أتتبع نسبى . ذلك أنهم قادونى إلى

---

(١) هيكاتيوس الملطي مؤرخ وجغرافي سابق لهيرودوت ، وقام برحلات كثيرة في آخر القرن السادس ق. م. وقد زار مصر في عهد دارا ليجمع مادة لكتابه « حول الأرض » الذي نشره قبل سنة ٥٠٠ ق . م . ومن كتبه الأخرى كتاب « التوارخ » « والأنساب »

المحراب الداخلى وأرونى تماثيل خشبية ضخمة ، وعدوها مبينين أن عددها كان كما قالوا تماما . فإن كل كاهن أعظم يضع هناك تمثالا لنفسه أثناء حياته . وفيما كان الكهنة يعدونها ويطلعونى عليها، بينوا لى أن كل واحد من الكهان العظام كان خليفة أبيه . وقد بينوا هذا بادئين بآخر من مات منهم ومارين بهم جميعاً إلى أن أتوا على ذكرهم أجمعين . ولما تتبع هيكاتيوس نسبه ووصل بنسبه إلى إله فى الجيل السادس عشر قبله، عارضوا نسبه اعتماداً على هذا الثبت، فإنهم لم يصدقوا ما قرر من أن إنساناً ينشأ عن إله . وقد عارضوا نسبه بأن بينوا أن كل واحد من أصحاب التماثيل الضخمة كان پيروميس خليفة پيروميس ، و بينوا أن هذا ينطبق على الخمسة والأربعين وثلثمائة تمثالا ، ولم يعزوا أصل واحد منها إلى إله أو بطل . و پيروميس تعنى فى اللغة اليونانية "رجل فاضل" (١)

١٤٤ — و إذن فقد استتبع تدليلهم أن هذه التماثيل كانت مطابقة لأصولها الإنسانية، وكانت بعيدة فى جميع الأحوال عن الآلهة . وقبل هؤلاء الأناسى كانت الآلهة تحكم مصر وتعيش مع الأناسى جنباً إلى جنب وكان واحد منها يسيطر عليها دائماً . وكان آخر الملوك من الآلهة هورس إبن أوزيريس ويسميه اليونانيون أپوللو ، وهو الذى خلع طيفون ، وكان آخر الآلهة التى حكمت مصر. وأوزيريس هو فى اللغة اليونانية ديونيسوس.

(١) « پى — رومى » تعنى فى المصرية « الرجل » ولفظة « رومى » كانت اللفظة الشائعة لمعنى مصرى . وهى تعنى أيضاً « إنسان » فى مقابلة « إله »

١٤٥ — ويُعد هرقل وديونيسوس وپان فى بلاد اليونان أصغر الآلهة. أما المصريون فيعدون پان أقدم الآلهة ، وأحد الآلهة التى يسمونها الآلهة الثمانية الأولى. وهرقل أحد آلهة الطبقة الثانية ويسمونها الآلهة الإثنى عشر، وديونيسوس أحد آلهة الطبقة الثالثة الذين نشأوا عن الآلهة الإثنى عشر . ولقد ذكرت فيما سبق كم من السنين انقضى فيما يقول المصريون بين هرقل والملك أمازيس . ويقال إن الفترة التى انقضت منذ عهد پان أطول من ذلك ، وانقضت منذ عهد ديونيسوس فترة أقصر من ذينكما . وهم يعدون من عهد ديونيسوس هذا إلى عهد الملك أمازيس خمسة عشر ألف عام . ويقرر المصريون أنهم يعرفون ذلك على وجه الدقة،إذ أنهم يعدون السنين باستمرار ولا ينقطعون عن تسجيل إعدادها . هذا مع أن الفترة منذ عهد ديونيسوس بن سميلى إبنة كادموس إلى زمانى هذا حوالى ستمائةوألف عام. ومن هرقل بن الكمينى تسعمائة عام تقريباً ، والفترة من پان بن پينيلوپى (يقول اليونانيون إن پان بن هرمس وپينيلوپى) أقصر من الفترة التى انقضت منذ الحروب الطروادية التى حدثت منذثمانمائة سنة تقريباً .

١٤٦ — ولكل واحد أن يختار من هاتين الروايتين ما يراها أولى بالتصديق . ولقد أوضحت أنا شخصياً رأيى فى الموضوع ، فإذا كان هذان الإلهان (ديونيسوس بن سميلى، وپان بن پينيلوپى) اشتهرا وعمرا فى بلاداليونان شأنهما فى ذلك شأن هرقل بن أمفيتريون، فلقائل أن يقول إن هذين الإلهين كانا إنسانين واتخذا إسمى ذينك الإلهين المذكورين . و بعد ، فإن اليونانيين

يقولون إن زيوس قد خاط ديونيسوس إلى فخذه بعد أن وُلِدَ مباشرة وحمله إلى نيسا[١] التى تقع فى الحبشة فيما وراء مصر . ولكنهم لا يعلمون ما حدث لپان بعد ميلاده . فمن الواضح إذن فيما يخيل إلىّ أن اليونانيين عرفوا إسمى هذين الإلهين بعد أسماء الآلهة الأخرى ، وأنهم وضعوا ميلاد هذين الإلهين فى الفترة التى دروا فيها بأمرهما .

١٤٧ — العهدة فيما أسلفت على المصريين أنفسهم . و إنى سأثبت من الآن مايقرره الآخرون بشأن هذا البلد وكذلك مايقول به المصريون إذا إتفق مع الروايات الأخرى ، وسأضيف إلى هذا شيئاً من مشاهداتى الشخصية .

لما حرر المصريون بعد حكم كاهن هيفايستوس ، قسموا مصر كلها إلى إثنتى عشرة مقاطعة ، ولوا عليها اثنى عشر ملكا (فقد رأوا أنهم لا يستطيعون العيش زمناً بدون ملك) وتزوج هؤلاء فيما بينهم ، وحكموا بعد أن قطعوا على أنفسهم العهود بألا يخلع واحد منهم الآخر ، وألا يسعى أحدهم أن يكون له من السلطة أكثر مما لآخر ، وأن يكونوا كأحسن ما يكون الأصدقاء . وقد اتخذوا هذه العهود وحافظوا عليها بقوة ، لأن الوحى قد جاءهم فى أول الأمر بعد أن عينوا للحكم مباشرة ، بأن من يسكب القربان منهم من إناء برونزى فى معبد هيفا يستوس سيتولى ملك مصر بأسرها . (كانوا يجتمعون فى المعابد كلها الواحد بعد الآخر .)

(١) يظهر أنه يعنى جبل برقة فى نباطا .

١٤٨ — وقرروا أن يخلفوا أثراً لهم مشتركا . فأبتنوا تنفيذاً لهذا القرار اللابيرنث[١] الذى يقع فيما وراء بحيرة مو ير يس بقليل،فى مواجهة المدينة التى تدعى مدينة التماسيح تقريباً . ولقد رأيت هذا البناء وهو يجل عن الوصف فلو أن إمرأ حشد معرضاً للمبانى والآثار الفنية التى أخرجها اليونانيون لظهر أنها تقل فى صناعتها ونفقاتها عن هذا اللابيرنث . هذا مع أن معبد أفسوس ومعبد ساموس كلاهما جدير بالوصف ، والأهرام كما رأينا فيما سبق تجل هى الأخرى عن الوصف و يضارع كل منها الآثار اليونانية على عظمتها . ولكن اللابيرنث تفضل الأهرام أيضاً . واللابيرنث اثنا عشر بهواً مسقوفاً مداخلها متقابلة ، ستة منها متجهة الى الشرق وستة متجهة إلى الغرب فى إطراد ، ويحيط بها من الخارج سور واحد ، وهناك صنفان من الغرف ، غرف تحت الأرض وغرف فوقها ، وعددها ثلاثة آلاف غرفة ، خمسمائة وألف من كل نوع . أما الغرف التى فوق سطح الأرض فقد رأيناها ومررنا بها وإنا نصف ما عايناه بأنفسنا . أما الغرف التى تحت سطح الأرض فقد وقفنا على أمرها بالسماع ، لأن القائمين بالأمر هنا من المصريين لم يرضوا مطلقاً أن يرونا إياها زاعمين أن توابيت الملوك الذين ابتنوا فى البدء ذلك اللابيرنث راقدة بداخلها ، وكذلك توابيت التماسيح المقدسة . وهكذا فقد تلقفنا بالسماع مانقول فى الغرف السفلية . أما الغرف العليا ، وهى تفوق ما أخرجه الإنسان من آثار فقد شاهدناها بأنفسنا . فالممرات خلال الردهات ،

(١) هو بناء على شكل حدوة الحصان كان فيما يرجح بالقرب من هرم هوارة .

والمنعرجات الشديدة التداخل خلال الأبهاء ملأتنا عجباً بالغاً أثناء مرورنا من البهو إلى الغرف ومن الغرف إلى الأروقة ومن الأروقة إلى ردهات أخرى ومن الغرف إلى سائر الابهاء . وسقف هذه الأبنية كلها من الحجر مثل الأسوار . والأسوار مليئة بالصور المحفورة . وتحيط بكل بهو أعمدة من الحجر الأبيض متسقة أشد الاتساق وملتصقة ومتداخلة بغاية الإتقان . ويوجد فى الركن عند طرف اللابيرنث هرم طوله أربعون باعاً ، وقد مُدّ طريق تحت الأرض يؤدى اليه .

١٤٩ — والبحيرة التى تدعى بحيرة موريس وهى التى بنى بجانبها اللابيرنث ، تملأنا عجباً أكثر من اللابيرنث نفسه وهو كما وصفنا . فطول محيطها ٣٦٠٠ ستاد . أو ستون سخينوساً ، وهى مسافة تعادل طول مصر نفسها على ساحل البحر ، والبحيرة ممتدة من الشمال الى الجنوب وعمقها - أعمق ماتكون خمسون باعاً ، أما أنها صناعية محفورة فأمر جلى ، فإنه يقوم فى وسط البحيرة تقريباً هرمان يعلو كل منهما فوق الماء بمقدار خمسين باعاً ومثل هذا القدر مبنى تحت سطح الماء ، وينتصب فوق كل منهما تمثال ضخم من الحجر متبوئاً عرشاً ، وهكذا يكون ارتفاع كل من الهرمين مائة باع ، ومائة باع تساوى ستاداً واحداً مؤلفاً من ستمائة قدم ذلك أن الباع يساوى ستة أقدام ، أو أربع أذرع إذ أن القدم أربعة أشبار والذراع ستة أشبار

والماء فى البحيرة ليس فيها بالطبيعة فهذه الجهات عديمة الأمطار للغاية .

والماء مجلوب من النيل بوساطة قناة . وينساب الماء من النيل داخلا فى البحيرة مدة ستة أشهر ، وخارجاً من البحيرة إلى النيل كرة أخرى مدة ستة أشهر . وفى الأشهر الستة التى ينساب الماء فيها خارجاً من البحيرة يورد إلى الخزانة الملكية صيداً بمبلغ طالنط من الفضة كل يوم ، ويكون دخل الخزانة حينما يأتى الماء إلى البحيرة عشرون مناً فحسب .

١٥٠ — وقال أهل البلاد كذلك أن هذه البحيرة تمتد تحت الأرض من جهتها الغربية إلى الأرض الداخلية فيما وراء السلسلة الجبلية التى بالقرب من منف ، وتصب فى السيرتيس فى ليبيا . وحيث أننى لم أر الرمال الناشئة عن الحفر فى أى مكان وكان ذلك شغلى الشاغل ، فقد سألت الذين يسكنون بجوار البحيرة مباشرة أين تقع الرمال التى حفرت فقال لى هؤلاء أين نقلت فصدقتهم بسهولة . لأننى كنت قد علمت بالسماع أن مثل هذا قد حدث أيضاً فى مدينة نينوى[١] فى أشوريا . فقد كان ساردانا پالوس[٢] ملك نينوى يملك أموالا طائلة محروسة فى كنوز تحت الأرض ودبر اللصوص أن يسرقوها . فبدأ اللصوص من بيوتهم وقدروا المسافة ودأبوا يحضرون صوب القصر الملكى . وكانوا كلما جن الليل يحملون التراب المستخرج من الحفر إلى نهر الدجلة الذى يجرى بجوار نينوى ، إلى

(١) هى عاصمة آشور من سنة ١٣٠٠ ق . م . إلى أن استولى عليها الميديون فى سنة ٦١٢ ق . م .

(٢) هو آشور بانيبال ، ملك آشورى عاش فى القرن السابع ق . م .

أن بلغوا مأربهم . ولقد سمعت أن حفر البحيرة فى مصر كان على ذلك النحو إلا أنه لم يعمل بالليل بل بالنهار . فقد حمل المصريون الأتربة المستخرجة بالحفر إلى النيل ، فابتلعها النيل وألقى بها بعيداً بالطبع .

١٥١ — ظل الملوك الإثنا عشر يصطنعون العدل فيما بينهم زمناً ، وعندما كانوا يضحون فى معبد هيفايستوس حدث فى آخر أيام العيد عندما كانوا يزمعون سكب القربان ، أن أخطأ الكاهن الأكبر عدهم فأحضر لهم الأوانى الذهبية التى كانوا قد تعودوا استخدامها فى سكب القربان ، ولكنه وقد أخطأ عدهم أحضر للاثنى عشر أحدى عشرة آنية .

وحيث أن پسماتيك كان يقف آخرهم، ولم يكن له إناء ، فقد نزع خوذته وكانت من البرونز وتناول بها خمر القربان وسكبه . وكان سائر الملوك جميعاً يلبسون خوذات واتفق أنهم كانوا جميعاً يلبسونها فى تلك المناسبة . وإذن فلم يكن پسماتيك يصطنع شيئاً من المكر عند ما استخدم خوذته . وتدبر الملوك الآخرون فيما فعل پسماتيك وفى النبوءة التى أعلنتهم « بأن من يسكب منهم القربان من إناء برونزى سيكون وحده ملك مصر» . ولما تذكروا النبوءة لم يستصوبوا قتل پسماتيك ، فقد وجدوا بالتحرى أنه لم يأت ما فعل بقصد سيء . وقرروا أن يجردوه من الجزء الأكبر من سلطانه وينفوه إلى المستنقعات ، وألا يغادر المستنقعات ولا يتصل بسائر أقاليم مصر.

١٥٢ — وكان سباكو الحبشى قد نفى پسماتيك هذا فى مرة سابقة ،

نفاه إلى سوريا بعد أن قتل أباه نيكوس [١] . ولما غادر الحبشى البلاد بسبب الحلم الذى رآه ، استرجع المصريون من أهل سايس پسماتيك ، فكان من سوء طالعه أن ينفيه الملوك الأحد عشر مرة ثانية إلى المستنقعات بعد أن أصبح ملكا بسبب الخوذة . وقد أحس أنهم ظلموه ونوى أن ينتقم من مضطهديه . وأرسل إلى وحى ليطو فى مدينة بوطو حيث يوجد وحى عظيم التصديق عند المصريين . وجاءه الوحى بأن الانتقام سيأتى من ناحية البحر حينما يظهر قوم برونزيون . وتملكه إنكار شديد بأنه سيأتى رجال برونزيون لمؤازرته .

و بعد مضى زمان غير طويل عصف النوء برجال أيونيين وكاريين كانوا قد أبحروا بغية السلب ، وطوح بهم إلى مصر . ولما نزلوا إلى البر كانوا مدرعين بالبرونز . وذهب واحد من المصريين ولم يكن قد رأى من قبل رجالا مدرعين بالبرونز ، وأبلغ پسماتيك أن رجالا برونزيين قد وصلوا من البحر وأنهم ينهبون السهل. أيقن پسماتيك أن النبوءة قد تحققت وعمل على صداقة الأيونيين والكاريين وحاول أن يقنعهم بوعود سخيه أن يكونوا فى خدمته . ولما أقنعهم غلب الملوك بمساعدة المصريين الذين انضموا تحت لوائه وهؤلاء المرتزقة معاً .

---

(١) هو أبو پسماتيك الأول، كان حاكما من حكام الأقاليم تحت إشراف الآشوريين، وإذا كان ما قاله هيرودوت صحيحاً يكون نيكوس قد قتل فى عام ٦٦٣ ق . م عند غزو الأحباش لمصر .

١٥٣ — لما قهر پسماتيك مصر كلها أقام فى منف الصرح الجنوبى لمعبد هيفايستوس وابتنى فى مواجهة الصرح بهواً لآپيس يحفظ فيه آپيس عندما يتجلى ، وهو كله محاط بالأعمدة ، ملىء بالرسوم ، وتحمله تماثيل ضخمة طول كل منها إثنتى عشر ذراعاً بدلا من أعمدة . وآپيس هو فى اللغة اليونانية إپافوس .

١٥٤ — وأقطع بسماتيك الأيونيين والكاريين الذين عملوا له أراضى ليسكنوها وكان بعضها فى مواجهة بعض ، والنيل فى منتصفها . وهذه الإقطاعات اتخذت اسم المعسكرات . لقد أقطعهم هذه الأراضى وأعطاهم سائر ما كان قد وعدهم به جميعاً ، هذا إلى أنه عهد اليهم بصبيان مصريين ليتعلموا اللغة اليونانية . ومن هؤلاء نشأت طائفة التراجمة فى مصر بعد أن تعلموا اللغة اليونانية . ونزل الأيونيون والكاريون هذه الإقطاعات زمناً طويلا وهى تقع ناحية البحر بعد مدينة بوباسطيس بقليل ، على فرع النيل المسمى بالفرع البيلوزى . وبعد زمن ما نقلهم الملك أمازيس[1] من ذلك المكان وأسكنهم منف وجعلهم حرسه الخاص ضد المصريين . ولما سكن هؤلاء مصر عرف اليونانيون عن طريق الإتصال بهم كل ما ألمّ بمصر على وجه الدقة ابتدأ من عهد بسماتيك وما بعده . ذلك أن هؤلاء أول من سكن

(١) هو أحمس الثانى الذى ولى الملك من سنة ٥٦٩ إلى سنة ٥٢٦ ق . م ويذهب هيرودوت إلى أن عصره هو العصر الذهبي لليونان فى مصر ، ولكن الواقع أن أحمس الثانى وصل إلى الحكم نتيجة لحركة قومية مناهضة لنفوذ اليونانيين فى مصر .

مصر من الأجانب . ولقد ظلت فى الأراضى التى كانوا قد أجلوا عنها إلى زمانى هذا موانىء سفنهم وآثار مساكنهم . وهكذا استقل بسماتيك بمصر .

١٥٥ — كثيراً ما ذكرت فيما سبق مهبط الوحى فى مصر . وسأجعل الكلام عليه الآن لأنه جدير بالوصف . مهبط الوحى هذا هو معبد ليطو القائم فى مدينة كبيرة على فرع النيل المسمى بالفرع السبينيتى فى طريقك من البحر إلى داخل البلاد .

واسم تلك المدينة التى يقع فيها الوحى هو بوطو كما أسميتها آنفاً . ويوجد فى مدينة بوطو هذه معبد لأبوللو وأرتميس . ومعبد ليطو الذي يقع فى داخله مهبط الوحى له — فضلا عن ضخامته — صرح ارتفاعه عشرة أبواع . و إنى سأصف الآن ما كان أشد إثارة للعجب فى نفسى من بين ما عرضوه علىّ .

يوجد داخل أسوار معبد ليطو هذا محراب متخذ من حجر واحد، وهو متساوى الأطوال سواء نظرت إليه من ناحية الارتفاع أو العرض فكل منهما أربعون ذراعاً . وسقفه حجر آخر منبسط له إفريز بارز بمقدار أربع أذرع .

١٥٦ — هذا المحراب هو أشد ما عرضوه علىّ فيما يختص بهذا المعبد إثارة للعجب . وتتلوه الجزيرة التى تدعى جزيرة خميس التى تقع فى بحيرة عميقة واسعة بجوار معبد بوطو ، ويسميها المصريون الجزيرة العائمة . و إننى شخصياً لم أرها عائمة أو متحركة ولكنى عجبت إذ سمعت بأمر جزيرة عائمة حقاً . وفى هذة الجزيرة معبد عظيم لأبوللو مبنى فيه ثلاثة هياكل ،

وينمو فى هذه الجزيرة نخيل كثيف وأشجار أخرى كثيرة بعضها يحمل ثماراً وبعضها لا يحمل ثماراً .

ويروى المصريون هذه القصة تفسيراً لأمر الجزيرة العائمة : فى الزمان الغابر حين كانت الجزيرة ثابتة غير عائمة ، كانت ليطو وهى إحدى الآلهة الثمانية الأولى تسكن مدينة بوطو ، فى البقعة التى يوجد فيها مهبط وحيها ذاك . وقد استلمت من إيزيس أبوللو وديعة وأنقذت حياته بأن خبأته فى الجزيرة العائمة حدث هذا فى الوقت الذى كان فيه طيفون يجوب العالم منقباً يريد أن يجد ابن أوزيرس . (يقول المصريون إن أبوللو وأرتميس أبنا ديونيسوس وإيزيس ، وأن ليطو كانت مربيتهما ومنقذتهما . وفى اللغة المصرية أبوللو هو حورس وديميتير هى إيزيس وأرتميس هى بوباسطيس . وعن هذه الرواية بالذات أخذ أيسخيلوس[1] بن إيوفوريون القصة التى سردتها لأنه الوحيد دون سائر الشعراء الذين سبقوه الذى جعل أرتميس إبنة ديمتير) . ومن أجل ذلك صارت الجزيرة فيما يقولون عائمة . هذه إذن هى القصة التى يرويها المصريون .

١٥٧ — وتولى پسماتيك ملك مصر أربعاً وخمسين سنة ، قضى منها تسعاً وعشرين سنة فى حصار أزوتوس[2] حصاراً متواصلا إلى أن أخذها

---

(١) شاعر يونانى عاش من ٥٢٥ ق . م يقال إنه كتب تسعين مأساة . ضاعت ولم يبق منها إلا سبع والمأساة التى اقتبس منها هيرودوت من المآسى الضائعة

(٢) هى مدينة أشدود المذكورة في العهد القديم .

وهى مدينة كبيرة فى سوريا . وقد صمدت أزوتوس هذه بعد حصارها مدة أكبر من كل المدن التى نعرفها .

١٥٨ — وولد لبسماتيك إبن هو نيخوس ، الذى تولى ملك مصر . وهو أول من حاول شق القناة التى تؤدى إلى البحر الأحمر ، وقد أتم حفرها من بعده دارا[١] الفارسى . وطول القناة مسافة إبحار أربعة أيام . وقد شقت عريضة إلى حد أن سفينتين من ذوات الصفوف الثلاثة من المجاديف تمخرانها جنباً إلى جنب . ويؤتى بالماء إليها من النيل ، يؤتى به من مكان فوق مدينة بو باسطيس بقليل ، بالقرب من المدينة العربية پاتوموس[٢] . وتمتد القناة من هنا إلى البحر الأحمر . والجزء الأول منها محفور فى الجانب العربى من السهل المصرى . وتتصل بهذا الجانب إلى الشمال من السهل سلسلة الجبال التى تواجه منف والتى تقع فيها المحاجر . وأصغر طريق وأقصره لقطع المسافة من البحر الشمالى إلى البحر الجنوبى الذى يسمى كذلك البحر الأحمر أى من جبال كاسيوس التى تفصل بين مصر وسوريا مسافة ألف ستاد تماماً إلى الخليج العربى . هذا هو أقصر طريق ، أما الطريق الذى يساير القناة فأطول منه بكثير لأنه أكثر تعرجاً . وقد هلك من المصريين فى عهد نيخوس أثناء عملية الحفر مائة وعشرون ألف

---

(١) حكم فارس من سنة ٥٢٢ ق . م وثارت مصر في عهده على حكم الفرس سنة ٤٨٦ ق . م . ولكنه مات في هذه السنة وخلفه أكزركسيس .

(٢) هي مدينة فيثوم في العهد القديم .

عامل . وتوقف نيخوس فى وسط عملية الحفر إذ أفتته نبوءة تقول إنه ينصب من أجل بربرى . فالمصريون يسمون كل من لا يتكلم لغتهم بربرياً .

١٥٩ — ولما توقف نيخوس عن حفر القناة انتحى نحو الشاطىء وابتنى سفناً ذات ثلاثة صفوف من المجاذيف ، بعضها للبحر الشمالى و بعضها الآخر للبحر الأحمر ، ابتناها فى الخليج العربى ، ولا زالت مراسيها بادية إلى الآن، وفضلا عن استخدام هذه السفن عند الحاجة فقد اشتبك مع السوريين فى موقعة برية فى ماجدولوس[١] .وهزمهم ، واستولى بعد هذه الموقعة على كاديتيس[٢] ، وهى مدينة كبيرة فى سوريا . وأرسل إلى برانخيداى[٣] فى ميليسيا البزة التى كان يلبسها أثناء قيامه بهذه العمليات وأهداها إلى أپوللو ، و بعد أن حكم ست عشرة سنة بأكملها ، توفى تاركا السلطان لإبنه پساميس[٤] .

١٦٠ — وفى عهد پساميس جاء إلى مصر سفراء من الإليائيين يفتخرون بأن النظام الذى إتبعوه فى المباريات الأولمبية هو أعدل وأحسن النظم

---

(١) يظهر أنه يعنى مجدل المذكورة فى العهد القديم وهى على حدود مصر الشرقية ، ولكن الموقعة حدثت فى مجدو سنة ٦٠٩ ق . م . ويظهر أن هيرودوت لم يسمع بهزيمة نيخوس على يد نبوخنتصر فى قرقيش سنة ٦٠٤ ق . م .

(٢) هى مدينة غزة الآن .

(٣) مدينة فى ملطية وكان فيها مهبط لوحي أبوللو . وقد أقام المهبط برانخوس بن أپوللو .

(٤) هو پسماتيك الثانى حكم مصر من سنة ٥٩٣ إلى سنة ٥٨٨ ق . م .

الإنسانية قاطبة . وكانوا يعتقدون أن المصريين وهم أحكم الناس لن يوفقوا إلى شيء يزاد عليه . وأعلن الإليائيون عند وصولهم إلى مصر الأسباب التى حضروا من أجلها . وعندئذ استدعى الملك من يقال إنهم أحكم المصريين . ولما اجتمع المصريون عرفوا مما قاله الإليائيون كل الأنظمة الموضوعة عندهم للباريات . و بعد أن شرح الإليائيون كل الأنظمة قالوا إنهم جاءوا ليعملوا إذا كان المصريون يستطيعون أن يوفقوا إلى نظام ما عسى أن يكون أعدل منها . وتشاورالمصريون وسألوا الإليائيين هل يشترك مواطنوهم فى المباريات . فأجاب هؤلاء بأن الاشتراك فى المباريات مباح لمن يشاء من الإليائيين ومن سائر اليونانيين على السواء . فقال لهم المصريون أنهم إذ وضعوا هذه القاعدة قد أخفقوا فى تحقيق العدل الشامل . ذلك بأنه لا توجد وسيلة لا يحابون بها مواطنهم إذا اشترك فى المباريات ، و بذلك يظلمون الأجانب ، ولكنهم إذا أرادوا أن يحكموا بالعدل وكان ذلك سبب مجيئهم إلى مصر فليأمروا بأن تقام المباريات بين المتبارين من الأجانب ، وألاّ يسمح لإليائى واحد بالاشتراك فيها . تلك هى النصيحة التى أسداها المصريون إلى الإليائيين .

١٦١ - تولى پساميس ملك مصر ست سنوات فحسب ، وتوفى بعد يسير حملة على الحبشة مباشرة ، وخلفه على العرش أپريس[1] بن پساميس .

(١) هو الفرعون خفرع المذكور فى العهد القديم وقد حكم مصر من ٥٨٨ — ٥٦٦ ق . م .

وحكم هذا خمسة وعشرين عاماً سير فيها جيشاً ضد صيدا ، واشتبك فى موقعة بحرية مع ملك صور . ولما كُتِبَ عليه أن يصيبه الضر ، أصابه نتيجة لحادثة سأشرحها بالتطويل فى تاريخ ليبيا . وسأتناولها بالاختصار فى هذا الكتاب . أرسل أبريس جيشاً عظيما ضد القورينائيين فأدركته مصيبة عظيمة . وسخط المصريون لذلك وثاروا عليه ، فقد رأوا أن أبريس قد أرسل بهم إلى هلاكٍ محقق حتى إذا هلكوا تيسر له أن يحكم بقية المصريين بمزيد من الأمن . سخط الذين رجعوا ، وأصدقاء الذين هلكوا لهذه التصرفات ، وثاروا عليه علانية .

١٦٢ — ولما درى أبريس بذلك أوفد اليهم أمازيس ليتحدث إليهم ويثنيهم عن عزمهم . وجاء هذ إليهم ساعياً إلى منع المصريين من إتيان هذا الأمر . وفيما هو يتحدث إليهم وقف واحد من المصريين وراءه ، ووضع خوذة على رأسه وبعد أن وضعها قال إنه إنما وضعها ليجعل منه ملكا ، ولم يكن هذا التصرف من غير المرغوب فيه على الإطلاق لديه كما ظهر من سلوكه . ذلك بأنه بعد أن نصبه الثوار المصريون ملكا مباشرة، بدأ يجهز حملة ضد أبريس. فلما علم أبريس بذلك أوفد إلى أمازيس رجلا فاضلا من أفراد حاشيته المصريين إسمه باتاربيميس وأمره أن يحضر أمازيس إليه حياً . فلما جاء باتاربيميس نادى أمازيس. واتفق أن كان أمازيس ممتطياً صهوة جواده ، فكشف له عن عورته قائلا له خذها إلى الملك . وبالرغم من ذلك ، فقد توسل اليه باتاربيميس أن يذهب إلى الملك الذى أرسل فى طلبه . فأجابه

هذا قائلا إنه كان يعد العدة للقيام بهذا الأمر منذ أمد بعيد ، ولن يخيب ظن أبريس فيه ، لأنه سيحضر شخصياً وسيُحضر معه قوماً آخرين . وقد بانت نيته لباتاربيميس من أقواله ومما رأى من العناد ، فرجع مسرعا ليوقف الملك بأسرع ما يستطيع على ما يجرى . فلما وصل إلى أبريس دون أن يُحضر أمازيس استشاط هذا غضباً . ولم يعط له فرصة للكلام بل أمر بأن يجدع منه الأنف وتصلم الأذن . ولما رأى سائر المصريين الذين كانوا لا يزالون على ولائهم لأبريس أعظم الرجال بينهم يعامل على هذا النحو من الامتهان المذرى ، انضموا إلى الآخرين دون أن يترددوا لحظة واحدة ، ووضعوا نفسهم رهن مشيئة أمازيس

١٦٣ — ولما علم أبريس بهذه الأمور أيضاً ، سلّح جنوده المرتزقة وقادهم ضد المصريين ، ولقد كان تحت إمرته ثلاثون ألف جندى مرتزق من الكاريين والأيونيين ، وكان قصره الضخم الباهر فى مدينة سايس . كان أنصار أبريس إذن يسيرون ضد المصريين ، أما أنصار أمازيس فقد كانوا يسيرون ضد الأجانب واجتمع الفريقان كلاهما فى مدينة مومفيس وكانا على وشك الإشتباك.

١٦٤ — وهناك سبع طبقات من المصريين، تدعى طبقة الكهنة، والمحاربين ورعاة البقر ،ورعاة الخنازير ، والتجار والتراجمة والملاحين . هذه هى طبقات المصريين . واسماؤها مشتقة من حرفها . أما المحاربون فيسمون كالاسيريس وهرموتو بيس وهم من المقاطعات الآتية فمصر بأسرها مقسمة إلى مقاطعات.

١٦٥ — مقاطعات الهرموتوبيس إذن هى مقاطعات بو باسطيس وسايس وخميس و پاپر يميس ومقاطعة الجزيرة التى تدعى پروسو پيثيس ونصف نائو. الهرموتوبيس يأتون من هذه المقاطعات ، وهم يبلغون إذا بلغوا أقصى عددهم مائة وستين الفاً ، ولا يجيد أحد منهم حرفة ما ، بل هم عاكفون على الجندية .

١٦٦ — أما مقاطعات الكلاسيريس فغير هذه ، وهى مقاطعة طيبة و بوباسطيس وأفثيس وتانيس ومنديس وسبينيتوس وأثريبيس وفاربايثيس وثموپس وأنوفيس وأنوسيس ومو يكفوريس . وهذه المقاطعة الأخيرة تقع تجاه مدينة بو باسطيس . و يبلغ الذين يأتون من مقاطعات الكالاسيريس ، إذا بلغو أقصى عددهم مأتين وخمسين ألف رجل . ولا يسمح لهؤلاء بالتدرب على أية حرفة ، بل يتدربون على الجندية فحسب. ويخلف فيهم الولد أباه .

١٦٧ — ولا أستطيع أن أقضى على وجه التحقيق فيما إذا كان اليونانيون قد أخذوا هذا التقليد أيضاً عن المصريين أم لا ، ولكني ألاحظ أن التراقيين والاسكيثيين والفرس والليديين وكل البرابرة كذلك تقريباً يعتبرون المواطنين الذين يتخذون حرفاً ممتهنين هم وأولادهم . أما الذين يترفعون عن الأعمال اليدوية وخصوصاً الذين ينصرفون إلى الجندية فيعتبرونهم نبلاء. ومهما يكن من شيء فقد تعلم اليونانيون كلهم هذا وخصوصاً اللاقيديمونيون . أما الكورنثيورن فهم أقل اليونانيين إزدراء للصناع .

١٦٨ — وطبقة المحاربين هى الطبقة الوحيدة فى مصر — فيما عدا الكهنة — التى تتمتع بامتيازات ، فيوهب كل فرد منها أثنا عشر فداناً معفاة من الضرائب (الفدان المصرى مربع طول كل ضلع من أضلاعه مائة ذراع مصرى . واتفق أن الذراع المصرى يساوى الذراع الساموسى .) وكان الجميع يتمتعون بهذا الامتياز . أما الامتيازات التالية فيتمتعون بها بالدور ولا يتمتع بها واحد بالذات مرتين أبداً . يؤلف ألف من الكالاسيريس مع ألف آخرين من الهرموتوبيس حرس الملك كل عام . وكان هؤلاء يمنحون كل يوم إلى جانب الفدادين مقدار من الخبز المخبوز زنته خمسة من للفرد ، ومنان من لحم العجول وأربعة أقداح من النبيذ . كانت هذه الامتيازات تمنح للذين يؤلفون الحرس الملكى فى كل مرة .

١٦٩ — وعند ما وصل أبريس على رأس الجنود المرتزقة وأمازيس على رأس المصريين كلهم إلى مدينة موميمفيس ، تقابلا والتحما فى موقعة . وأبلى الأجانب بلاءاً حسناً ، وكانوا يقلون عن خصومهم عدداً بكثير ، ولذلك هزموا . ويقال إن أبريس كان يعتقد أنه لا يوجد إله ما يستطيع أن يحرمه من الملك . ولكنه عند ما إشتبك فى الموقعة هزم وأُسر وسيق إلى مدينة سايس ، إلى القصر الذى كان فيما مضى قصره ، وأصبح الآن قصر أمازيس . وهناك استضيف فى القصر وعامله أمازيس معاملة حسنة . وأخيراً تذمر المصريون وقالوا إن إمازيس لا يلتزم جانب العدل باستضافة أعدى عدوهم وعدوه . وهكذا أُسلم أبريس إلى المصريين فشنقه هؤلاء ثم

دفنوه فى مقبرة آبائه وهى فى معبد آثينة فى ملاصقة المحراب الذى يقع إلى يسار الداخل . ولقد دفن أهل سايس كل الملوك الذين نشأوا فى هذا الأقليم فى داخل المعبد . ومقبرة أمازيس أبعد عن المحراب من مقبرة أپريس وأسلافه ، ولـكنها هى الأخرى على أية حال فى ساحة المعبد ، وهى عبارة عن رواق كبير من الحجر مزين بأعمدة تحاكى شجر النخيل ، و بسائر الزخارف الغالية . ويوجد فى الرواق من الداخل بابان منفصلان ، ووراء هذين البابين القبر .

١٧٠ — و يوجد كذلك فى سايس فى حرم معبد آثينة قبر من لا أعتقد أن من التُقى أن أذكر إسمه فى هذا الصدد . والقبر قائم وراء الهيكل و يشغل كل الحائط الخلفى لمعبد آثينة . وتقوم فى حرم المعبد كذلك مسلتان ضخمتان من الحجر ، و يوجد بجوارهما بحيرة مزينة بحافة من الحجر ، وهى مهيأة على وجه حسن على شكل دائرة ، ومساحتها تعادل فيما يخيل إلىّ مساحة البحيرة التى تسمى « البحيرة المستديرة » فى ديلوس .

١٧١ — وفى هذه البحيرة يقوم المصريون بالليل بتمثيل آلامه التى يسميها المصريون أسراراً . وبالرغم من معرفتى التامة بكل من هذه المراسم فإنى سألتزم الصمت الخاشع بشأنها . أما فيما يتعلق بعيد ديميتير الذي يسميه اليونانيون تسموفوريا[١] فسألتزم الصمت الخاشع بشأنه أيضاً إلا فيما يمكنني أن أصفه من مراسمه . و بنات دناوُس هن اللائى أدخلن هذا العيد من

(١) هو عيد ديميتير المقننة ، كانت الآثينيات تحيينه فى الخريف .

مصر ، وعلمنه للنساء البيلاسجيات . ولـكنه ضاع بعد ذلك عند ما أجلى دناؤس عن البيلوپونيز بأسره على يد الدوريين . وإحتفظ به الأركاديون وحدهم لأنهم هم الذين بقوا من البيلوپونيزيين ، ولم يجلوا عنه .

١٧٢ — و بعد أن قُتل أبريس على هذا النحو تولى أمازيس الملك ، وكان ينتمى إلى مقاطعة سايس . أما المدينة التى نشأ منها فإسمها سيوف . ولقد ازدراه المصريون أول الأمر ولم يقيموا له وزناً على الإطلاق . لأنه كان من قبل من عامة الشعب ، ولم ينحدر من بيت شهير . وأسترضاهم أمازيس فيما بعد بحكمة ولطف . فقد كانت عنده تحف مختلفة لا تحصى من بينها طست ذهبى لغسل الأقدام كان أمازيس نفسه وضيوفه جميعاً يغسلون فيه أقدامهم فى بعض الأحيان ، فكسره وصنع منه تمثالا لإله وأقامه فى أنسب مكان من المدينة . وجعل المصريون يتوجهون للتمثال و يعظمونه تعظيما كبيراً . ولما علم أمازيس بسلوك أهل المدينة هذا . إستدعى المصريين و بيّن لهم أن التمثال متخذ من طست ، وأن المصريين كانوا فيما مضى يتقيئون في الطست و يغسلون فيه أقدامهم ، وهم الآن يخشعون له خشوعاً عظيما . ثم مضى فى حديثه قائلا إن أمره مثل أمر الطست ، فإنه كان حقاً فيما مضى من عامة الشعب ولـكنه الآن ملـكهم، وأمرهم بتعظيمه و تبجيله . و بهذه الطريقة إسترضى المصريين حتى قبلوا الخضوع له .

١٧٣ — وكانت شئونه اليومية منظمة على هذا النحو . يصرّف باجتهاد ما يُعرَض عليه من شئون من الصباح المبكر إلى وقت إكتظاظ

السوق ، ومن ذلك الوقت يشرب و يمزح مع خلانه و يكون ماجناً عابثاً .
وضاق أصدقاءه بهذا السلوك ولاموه قائلين « أيها الملك إنك لا تحكم نفسك
بطريق الصواب ، إذ أنك تدفعها إلى هذا العبث الشديد ، و ينبغى لك
أن تجلس مهيباً على عرش مهيب ، وتصرّف شئون الدولة طوال النهار ،
فعندئذ فقط يعلم المصريون أن رجلا عظيما يحكمهم ، فيكون له صيت أبعد
بينهم. أما الآن فإن ما تفعله لا يليق بملك على الإطلاق» . فأجابهم أمازيس
قائلا « إن أصحاب الأقواس إذا احتاجوا إلى استعمالها شدوها ، فإذا فرغوا
من استعمالها أرخوها . لأنها إذا ظلت طوال الوقت مشدودة إنقطعت فلا
يستطيع أصحابها استعمالها فى وقت الحاجة . وهذا شأن طبيعة الإنسان تماماً .
إذا أراد أن يكون جاداً دائماً ولم يسمح لنفسه باللهو بعض الوقت فإما أن
يجن دون أن يشعر أو يصبح مخبولا . و إنى أعلم هذه الحقيقة ولذلك أفرد
جزءاً من وقتى لكل من الأمرين » . هكذا أجاب أصدقاءه .

١٧٤ — و يقال إن إمازيس كان محباً للخمر والمزاح حتى حينما كان
فرداًمن عامة الشعب . وكان كلما أعوزته ضرورات الحياة من جراء سكره
ومجونه ، يطوف بالمدن و ينهب الناس . وكان الناس يتهمونه بأنه هو الذى
سطا على ممتلكاتهم ، وكانوا عند ما ينكر يسوقونه إلى أقرب وحى إليهم
وكثيراً ما أدانه الوحى وكثيراً ما برأهأيضاً . ولما تولى الملك تصرف كما يأتى:
لم يأبه لمعابد تلك الآلهة التى أفتت بأنه برىء ولم يهب لها شيئاً لإصلاحها
ولم يزرها للتضحية ، لأنه اعتبرها غير أهل لشىء وكاذبه النبوءات . أما

الآلهة التى أفتت بأنه سارق فقد عنى بها أشد العناية بإعتبار أنها آلهة حقاً تصدر نبوءات صادقة (١).

١٧٥ — وابتنى أولا صرحاً رائعاً لمعبد آثينة فى سايس يفضل جميع الصروح بكثير فى إرتفاعه وضخامته كما يفضلها فى ضخامة أحجاره ونوعها، ثم أقام تماثيل ضخمة وآباء هول ماردة، وأحضر فضلا عن ذلك حجارة بالغة الضخامة للترميم، أحضر بعضها من مقالع الأحجار التى فى منف و بعضها الآخر المفرط الضخامة من مدينة الفنتين وهى على مسافة إبحار عشرين يوماً من سايس. وأشد ما إسترعى عجبى من هذه الأحجار، حجر هذا وصفه: حُجرة من حجر واحد أرسله من مدينة الفنتين، وقد أحضره فى ثلاث سنوات، واستخدم فى جرّه عشرين ألف عامل، كلهم من طبقة الملاحين، وطول هذه الحجرة من الخارج إحدى وعشرون ذراعاً، وعرضها أربع عشرة ذراعاً، وارتفاعها ثمان أذرع. هذه هى الأبعاد الخارجية للحجرة المكونة من حجر واحد أما من الداخل فطولها ثمان عشرة ذراعاً وعشرون أصبعاً وعرضها إثنتا عشرة ذراعاً و إرتفاعها خمس أذرع، وهى تقع بجانب مدخل المعبد و يقولون إنها لم تسحبَ إلى الداخل لهذا السبب: كان رئيس البنائين يسحب الحجر فتنهد لطول ما إستغرق العمل من وقت ولأنه ناء بالعمل فتوجس أمازيس ولم يسمح بسحبها إلى أبعد مما وصلوا بها. هذا و يذهب

(١) وجدت قصة تصور حب إمازيس للخمر فى ورقة بردية ديموطيقية من ذاك العصر

البعض إلى أن واحداً من الذين كانوا يرفعونها تهشم تحتها ، ولذلك لم تسحب إلى داخل المعبد .

١٧٦ – وأقام أمازيس كذلك فى سائر المعابد الهامة كلها نصباً جديرة بالمشاهدة لضخامتها ، منها تمثال ضخم ملقى على ظهره أمام معبد هيفايستوس ، طوله خمسة وسبعون قدماً . ويقوم على قاعدة هذا التمثال نفسها تمثالان ضخمان من الحجر الحبشى ، كل منهما حجمه عشرون قدماً وكل منهما فى أحد جانبى التمثال الكبير . وهناك تمثال آخر حجرى بهذا الحجم فى سايس ملقى مثل التمثال الذى فى منف . وأمازيس هو بانى معبد إيزيس فى منف ، وهو كبير الحجم ، يستحق المشاهدة كل الاستحقاق .

١٧٧ — ويقال إن مصر كانت فى عهد أمازيس شديدة الرخاء ، وذلك من حيث ما يصيب الأرض من النيل وما يصيب الناس من الأرض جميعاً ، وأنه كان فيها فى ذلك العصر ألف مدينة عامرة على الجملة . وأمازيس هو الذى وضع للمصريين هذا القانون الذى ينص على أنه على كل فرد من المصريين أن يبين كل سنة لحاكم الإقليم مورد عيشه ، فإذا لم يفعل ولم يثبت أن له مورد عيش حلال عوقب بالموت .

ولقد أخذ صولون [1] الآثينى هذا القانون عن مصر ووضعه للآثينيين

(١) المشرع الآثينى ، عاش من ٦٤٠ – ٥٥٨ ق . م . وكان حاكما فى آثينا سنة ٥٩٤ ق . م فلا يمكن أن يكون قد اقتبس تشريعاته من قوانين أحمس الذى صار ملكا سنة ٥٦٩ ق . م .

وهم يعملون به إلى الآن ، فهو قانون لاعيب فيه .

١٧٨ — وصار أمازيس محباً لليونانيين ، ومنح بعضهم إمتيازات . أهمها أنه منح الذين هاجروا إلى مصر نوقراطيس ليسكنوها ، أما الذين لم يشاءوا منهم سكناها ، وكانوا يزورونها فقط ، فقد وهبهم أراضى ليبنوا عليها هياكل ومعابد لآلهتهم . وأعظم هذه المعابد وأشهرها وأكثرها زواراً هو الهيلينيوم فقد ساهمت فى بنائه هذه المدن : خيوس ، وتيوس ، وفوكايا ، وكلازوميناى من المدن الأيونية ، وردس ، وكنيدوس ، وهاليكارناسوس ، وفاسيليس من المدن الدورية ، ومدينة أيوليه واحدة هى ميتيلينى . هذا المعبد إذن تابع لهذه المدن ، وهى التى تعين موظفى الميناء التجارية . أما المدن الأخرى التى تدّعى نصيباً لنفسها فيه ، فهى تدعى شيئاً ليس لها فيه نصيب . وانفرد أهل إيجينا ببناء معبد خاص بهم لزيوس ، وإبتنى الساموسيون معبداً لهيرا ، والملطيون معبداً لأپوللو .

١٧٩ — وكانت نوقراطيس فى العصر القديم الميناء التجارية الوحيدة ولم يكن فى مصر ميناء غيرها . فإذا رسى أحد فى أى فرع آخر من فروع النيل تحتم عليه أن يقسم أنهُ لم يأت راضياً ثم بعد أن يقسم عليه أن يبحر بمركبه وما عليها إلى الفرع الكانوبى ، فإذا استحال الإبحار لهبوب رياح مضادة وجب عليه أن ينقل حمولة سفينته فى قوارب حول الدلتا إلى أن يصل إلى نوقراطيس ، وهكذا كانت لنوقراطيس مكانة ممتازة .

١٨٠ — ولما تعاقد الامفيكتيونيون[1] على بناء المعبد القائم الآن فى دلفى بمبلغ ثلثمائة طالنط ، إذ تصادف أن احترق المعبد الذى كان فى مكانه فيما سبق ، وتعين على أهل دلفى أن يؤدوا ربع المبلغ المتعاقد عليه ، طفقوا يزورون المدن ، وجمعوا فى هذه الزيارات من مصر لا أقل مما جمعوا من البلدان الأخرى ، ذلك أن أمازيس وهبهم ألف طالنط من الشب ، وأعطاهم اليونانيون المقيمون فى مصر عشرين مناً

١٨١ — وعقد أمازيس معاهدة صداقة مع القورينائيين وشاء أن يتخذ زوجة منهم ، وذلك إما لأنه اشتهى زوجاً يونانية أو من أجل صداقته للقورينائيين. مهما يكن من شىء فقد تزوج من إبنة باتوس بن اركيسيلاوس فى قول البعض وإبنة كريتوبولوس وهو مواطن شهير فى قول البعض الآخر ، وكان إسمها لاديكى . ولما جاء أمازيس لإتيانها لم يجد من نفسه قدرة على ذلك ، مع أنه كان قادراً على إتيان نسائه الأخريات . ولما تكرر ذلك كثيراً خاطب الملك زوجه لاديكى قائلا « أيتها المرأة ، إنك قد سحرتنى ولا شك ، فتيقنى الآن أنك لابد ستهلكين أشنع مما هلكت امرأة من قبل » . واحتجت لاديكى عبثاً ببراءتها ، ولكن أمازيس لم يلن وعندئذ نذرت فى سرها لأفروديت أنها إذا ضاجعت زوجها فى الليلة المقبلة ، إذ لم يكن قد بقى لها من الوقت أكثر من ذلك ، فإنها ستهدى الإلهة تمثالا فى قورينة .

---

(١) الكلمة معناها « المجاورون » وهو اسم حلف من المدن الواقعة فى الشمال الشرقى من بلاد اليونان .

وجامعها إمازيس بعد صلاتها مباشرة ، ومنذ ذلك الحين كان يأتيها كلما ضاجعها . وأصبح أمازيس يحبها حباً شديداً منذ ذلك الحين . ووفت لاديكى بنذرها ، فأمرت بصنع تمثال وأرسلته إلى قورينة . ولا زال التمثال إلى يومنا هذا قائماًمستدبراً بوجهة المدينة ومتجهاً إلى الخارج . أما عن لاديكى نفسها فإنه عند ما غزا قمبيز مصر وعلم من هى أرسلها إلى قورينة دون أذى .

١٨٢ — وأرسل أمازيس أيضاً نصباً إلى بلاد اليونان ، فأرسل إلى قورينة تمثالا لآثينة مكسواً بالذهب ، وصورة له مرسومة ، وأرسل إلى آثينة فى ليندوس تمثالين من الحجر ومشداً للصدر من الكتان كلها جديرة بالمشاهدة . وأرسل كذلك إلى ساموس باسم هيرا تمثالين لنفسه من الخشب لا يزالان قائمين فى المعبد الكبير وراء الأبواب إلى زمانى هذا . وأرسل الهدايا إلى ساموس تعزيزاً لصلات الود بينه و بين بوليقراطيس [1] بن أياكيس . وليس من أجل صلات ود ما أرسله إلى ليندوس ، بل لأن معبد آثينة فى ليندوس كان قد ابتناه فيما يقال بنات دناؤس حينما حططن هناك أثناء هربهن من وجه أبناء ايجيبتوس . هذه هى الهدايا التى قربها أمازيس وهو أول من استولى على قبرص وأخضعها وفرض عليها الجزية .

---

(١) هو طاغية ساموس، حكمها من سنة ٥٣٢ إلى سنة ٥٢٢ ق.م. وأنشأ أسطولا بحرياً عظيما ، سيطر به على الجزر المجاورة له ، ووطد الصداقة بينه وبين أحمس .

أسماء المدن

المدينة		الموقع الآن
اتاريبخيس	٤	مدينة فى الدلتافى إقليم پروسوبيس
أثريبيس	١٦٦	تل اتريب بالقرب من بنها
أرخاندروس	٩٧ ، ٩٨	مدينةفى الدلتا بين الفرع الكانوبى ونوقراطيس
إريثرابولوس	١١١	الجبل الأحمر
أسوان	٢٨	أسوان
أفثيس	١٦٦	موقعها غير معروف
إلبو	١٤٠	جزيزة فى الدلتا موقعها غير محقق
الفنتين	١٧ ، ١٨ ، ٢٨ — ٣١، ٦٩ ، ١٧٥	جزيرة الفنتين فى مقابلة أسوان
أنثيلا	٩٧ ، ٩٨	مدينة بين الفرع الكانوبى ونوقراطيس
انيسيس	١٣٧	تل بليم شمال غرب القنطرة
أونوفيس	١٦٦	تل بلال فى الجنوب الغربى من دكرنس
پاپريميس	٥٩ ، ٦٣، ٧١ ، ١٦٥	قد تكون جزء من تل الفرما
باتوموس	١٥٨	تل المسخوطة بالقرب من أبى صوير
بوباسطيس	٥٩ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٨	تل بسطه بالقرب من الزقازيق
بوطو	٥٩، ٦٣، ٦٧، ٨٣، ١١١، ١١٣، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦	كوم الفراعين بالقرب من إبطو
بوسيريس	٥٩	أبو صير بانا جنوب سمنود
پيلوزيوم	١٥ ، ١٤١	تل الفرما

المدينة		الموقع الآن
تانيس	١٦٦	صان الحجر
ثمويس	١٦٦	تل تماى الأمديد
خميس	١٥٦	جزيرة بالقرب من بوطو
خميس	٩١ ، ١٦٥	أخميم
دفناى	٣٠ ، ١٠٧	كوم دفنا ، غرب القنطرة
سايس	٢٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ١٣٠، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦	صا الحجر
سبينيتوس	١٦٦	سمنود
سيوف	١٧٢	مدينة فى مقاطعة سايس
طيبه	٣، ٩، ٥٤، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ١٤٣	الأقصر
فاربيثوس	١٦٦	هوربيط شمال شرق الزقازيق
كانوبوس	١٥ ، ٩٧	كرم سمعدى فى الشمال الشرقى من الاسكندرية
كركاسورس	١٥ ، ١٧ ، ٩٧	قد تكون الورّاق
ماريا	١٨ ، ٣٠	على شاطئ مريوط تجاه مقام سيدى كرير
مدينة التمساح	١٤٨	مدينة الفيوم
منف	٢، ٣، ٨، ١٠، ١٢ - ١٤، ٩٧ ، ٩٩، ١١٢، ١١٤، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٧٥، ١٧٦	ميت رهينة
منديس	١٦٦	تل الربع
موتمفيس	١٦٣ ، ١٦٩	كوم أبو بيلو

المدينة		الموقع الآن
ميكفوريس	١٦٦	موقعها غير معروف
نوقراطيس	٩٧، ١٣٥، ١٧٨، ١٧٩	كوم جيف بالقرب من نقراش
نيا پوليس	٩١	النشاه
هرموپوليس	٦٧	الأشمونين
هيليوپوليس	٣، ٧ — ٩، ٥٩، ٦٣، ٧٣	المطرية

أسماء الآلهة

الإله فى اليونانية		الإله فى المصرية
إيافوس	١٥٣	نيث
أپوللو	١٥٩ ، ١٧٨	حورس
آثينة	٢٨، ٥٩ ، ٨٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢	نيث
أرتميس	٥٩ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ١٣٧ ، ١٥٦	باسط
آريس	٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٣	شو
إيو	٤١	هاتور
پان	٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦	مين
پرسيوس	١٥ ، ٩١	مين
ديميتير	٥٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٧١	إيزيس
ديونيسوس	٢٩،٤٢،٤٧ — ٤٩،٥٢،١٤٤ — ١٤٦	أوزيريس
زيوس	١٣ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ،٨٣ ١١٦ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٧٨ ، ١٨٢	آمون
سيليني (القمر)	٤٧	نخبت
طيفون	١٤٤ ، ١٥٦	ست
ليطو	٥٩ ، ٨٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦	بوتو
هرقل	٣٣ ، ٤٢ — ٤٤ ، ٨٣ ، ١١٣	خنسو
هرمس	٥١ ، ١٣٨ ، ١٤٥	توت
هيليوس (الشمس)	٥٩ ، ٧٣	رع أو آتوم
هيفايستوس	٣ ، ٩٩، ١٠١، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢، ١٢١ ، ١٣٦،١٤١،١٤٧،١٥١، ١٧٦	بتاح

المقاييس

القدم = ٠,٣٠٨٨ من المتر أو ١٢,١٦ من البوصة

ذراع[١] = ١ ½ قدم = ٠,٤٦٣٢ من المتر

باع = ٦ أقدام = ١,٨٥٣ متراً

بليثرون = ١٠٠ قدم = ٣٠,٨٨ متراً

ستاد = ٦٠٠ قدم = ١٨٥,٣ متراً

فرسخ = ٣٠ ستاد = ٥,٥٦ كيلومتراً

سخينوس = ٦٠ ستاد = ١١,١٢ كيلومتراً

رحلة يوم براً = ١٥٠ ستاد = ٢٨ كيلومتر تقريباً

رحلة يوم بحراً = ٧٠٠ ستاد[٢] = ١٣٠ « «

رحلة ليلة بحراً = ٦٠٠ ستاد = ١١١ « «

النقد

المن = ١٠٠ دراخمة

طالنط = ٦٠ مناً = ٢٤٠ جنيهاً تقريباً

وهـذه كانت تستعمل بهذه النسب عينها كموازين ، والمن (وزن) = ١ ½ رطلا .

(١) الذراع المصرية تساوى ٥٢٥ و . من المتر وهى تساوى بالنسبة إلى الذراع الاوليمبية ١٧ إلى ١٥ وهذه هى الذراع التى كان يستعملها المصريون فى مساحة الأرض وقياس إرتفاع النيل .

(٢) وهذا يساوى خمس عقد بحرية تقريباً . الستاد فى البحر يساوى ⅒ دقيقة عرض أو $\frac{١}{٦٠٠}$ من درجة العرض .

فهرس

إپافوس ١٥٣
أپريس ١٦١ ، ١٦٩
أپوللو ١٥٩ ، ١٧٨
أبو منجل ٧٥ ، ٧٦
أبيس ١٨ ، ١٥٣
اتاربيخيس ٤١
أثربيس ١٦٦
آثينا ٥١
آثينة ٢٨ ، ٥٩ ، ٨٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢
آثينيون ٥١ ، ١٧٧
أحباش ٣٢ ، ٣٩ ، ١٤٠ ، ١٣٧
— ١٤٠
أخائيون ١٢٠
أخيلوؤس ١٠
أخينادس ١٠
أرتميس ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٣ ، ١٣٧ ، ١٥٦
أرخاندروس ٩٧ ، ٩٨
أرخيديكى ١٣٥
أركاديس ١٧١
آريس ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٣
أزوتوس ١٥٦
اسارحادون ٣٢ ، ٣٣
إسپرطه ١١٣ ، ١١٧
أسماخ ٣٠
أسوان ٢٨
آسيا ١٦ ، ١٧ ، ١٠٣ ، ١١٧
اسيخيس ١٣٦
آشور ١٧
آشوريون ١٧ ، ٣٠ ، ١٤١ ، ١٥٠
أفثيس ١٦٦
أفروديت ٤١ ، ١١٢ ، ١٨١
أفروديسوم ١١٢
إفسوس ١٠ ، ١٤٨
أكرنانيا ١٩
البحر الأحمر ٨ ، ١١ ، ١٠٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩
إلبو ١٤٠
الاسكندر ١١٣ — ١١٧
الخليج العربى ١١ ، ١٠٢ ، ١٥٨

إلفنتين ٩، ١٧، ٢٨، ٦٩، ١٧٥
الطمى الأحمر ١١١
ألكمينة ٣، ١٤٥
إليائيون ١٦٠
إلياذة ١١٦، ١١٧
أمازيس ١٥٤، ١٦١ — ١٦٣، ١٦٩، ١٧٢–١٧٦، ١٨٢
أمفيتريون ٤٣
أمفيكتيون ١٨٠
آمون ٤٢، ٥٥
آمونيون ٣٢، ٣٣، ٤٢
أميرتايوس ١٤٠
أنثيللا ٩٧، ٩٨
أنيسيس ١٣٧، ١٤٠، ١٦٦
أوديسية ١١٦
أوروپا ١٦، ٢٦، ٣٣، ١٠٣
أورقية ٨١
أوروس ١٤٤
أوزوريس ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٢٣ ١٤٤—١٤٦، ١٥٦
أوقيانوس ٢١، ٢٣
أونوفيس ١٦٦
إيادمون ١٣٤

ايتيارخوس ٣٢، ٣٣
ايسوپوس ١٣٤
إيزيس ٤١ ، ٤٢، ٥٩، ٦١، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٦، ١٧٦
ايستر (الطونه) ٢٦، ٣٣، ٣٤
إيستريا ٣٣
إيو ٤١
إيوفوريون ١٥٦
أيونية ١٠٦
أيونيون ١ ، ١٥ — ١٧ ، ٦٩، ١٠٢ ، ١٥٤ ، ١٧٨

بابل ١٠٩
پاريميس ٥٩ ، ٦٣ ، ١٦٥
پاتاربيميس ١٦٢
پاتوموس ١٥٨
پارثنيوس ١٠٤
پان ٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦
بحر إيجة ٩٧ ، ١١٣
برانخيداى ١٥٩
بردى ٧٣ ، ٩٢
پرسيوس ١٥ ، ٩١
پروتيوس ١١٢ — ١٢١

پروسوبيتيس ٤١ ، ١٦٥
پروميس ١٤٣
پرياموس ١٢٠
بساميس ١٦٠
بسماتيك ٢ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ١٥١
— ١٥٥ ، ١٥٧، ١٥٨
بط ٧٧
بقرة ١٨، ٤١، ١٢٩ — ١٣٢
بلاد العرب ٨ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ،
٧٣ ، ٧٥ ، ١٢٤
بلاد اليونان ٤٤، ٥٠ ، ٥٦ ، ٩١ ،
١٠٤، ١١٤، ١٣٥، ١٨٢
بليثى ٦
بوباسطيس ٤٩، ٥٩، ١٣٧، ١٥٦ ،
١٦٦
بوطو ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٥ ،
٨٣ ، ١١١ ، ١٣٣
بوسيريس ٤٠ ، ٥٩، ٦٠
پوزيدون ٤٣ ، ٥٠
پولبيتي ١٧
پوليدامنا ١١٦
پوليقراطيس ١٨٢
بيسا ٧
بيلوپونيز ١٧١
بيلوزيوم ١٥ ، ١٧ ، ٣٦، ١٤١
، ١٥٤
بينيلوپي ١٤٥ ، ١٤٦
بيوشيا ٤٩.
تاخومبسو ٢٩
تانيس ١٦٦
تراقيا ١١٣ ، ١٣٤ ، ١٦٧
تروئيس ١٢٠
تلياخوس ١١٦
تمساح ٦٨ — ٧٠
تينداروس ١١٢
تيوثرانيا ١٠
تيوس ١٧٨
تيوكريون ١١٨
ثاسوس ٤٤
ثرمودون ١٠٤
ثسموفوريا ١٧١
ثعبان ٧٤ ، ٧٥
ثمويس ١٦٦
ثميس ٥٠
ثونيس ١١٣ ، ١١٤

جورجو ٩١

حبشة ١١ ، ٢٨، ٣٠، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٦١

حِرَف ١٦٤

حية ٧٤

خاراكسوس١٣٥

خفرع ١٢٧ ، ١٢٨

خميس ٩١ ، ١٥٦ ، ١٦٥

خنزير ١٤ ، ٤٧

خوذه ١٥١

خيوس ١٣٥ ، ١٧٨

دارا ١١٠ ، ١٥٨

دافناى ٣٠ ، ١٠٧

داناى ٩١

داناؤس ٩١ ، ٩٨

دلتا ١٣ ، ١٥ — ١٨ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٩٧ ، ١٧٩

دلفى ١٣، ١٥ — ١٨، ٤١، ٥٩ ، ٩٧ ، ١٧٩

دودونا ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨

دوريون ١٧٨

ديوسقوروى ٤٣ ، ٥٠

ديوميديس ١١٦

ديونيسوس ٢٩، ٤٢، ٤٧ — ٤٩، ٥٢ ، ١٤٤ — ١٤٦

ديميتير ١٢٢، ١٢٣، ١٥٦، ١٧١

رامبسينيتوس ١٢١ ، ١٢٢ — ١٢٤

رودوبيس ١٣٤ ، ١٣٥

رودس ١٧٨

زيت الخروع ٩٤

زيوس ١٣ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١١٦ ، ١٣٦، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٢

سارداناپاللوس ١٥٠

ساردیس ١٠٦

سافو ١٣٥

ساموثراقيا ٥١

ساموثراقيون ٥١

ساموس ١٤٨، ١٦٨، ١٧٨، ١٨٢

سايس ٢٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ١٣٠، ١٦٣ ، ١٦٩

سباكو ١٣٧ — ١٣٩ ، ١٥٢

سبينيتوس ١٧ ، ١٥٥ ، ١٦٦

سربونى ٦
سكاماندرونيموس ١٣٥
سكيثيا ٢٢، ١٠٣، ١١٠، ١٦٧
سكيثيون ١٠٣
سمك ٣٧، ٧٢، ٧٧، ٩٢، ٩٣، ١٤٩
سميرنا ١٠٦
سميلى ١٤٥، ١٤٦
سنخاريب ١٤١
سوريا ١٢، ٢٠، ٣٠، ١٠٤، ١٠٦، ١٥٩
سولوثيس ٣١
سيثوس ١٤١
سيرتيس ٣٢، ١٥٠
سيسوستريس ١٠٢ — ١٠٤، ١٠٦ — ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٣٧
سينوب ٣٤
سيوف ١٧٢

صور ٤٤، ١١٢، ١٦١
صولون ١٧٧
صيدا ١١٦، ١٦١

طروادة ١٢٠، ١٤٥
طيبه ٣، ٩، ١٥، ٥٤ — ٥٦، ٥٨، ٦٩، ٧٤، ٩١، ١٤٣، ١٦٦
طيفون ١٤٤، ١٥٦

فاربايثوس ١٦٦
فارناسبيس ١
فاسيس ١٠٣
فاسيليس ١٧٨
فاللوس ٤٨، ٤٩، ٥١
فريجيون ٢
فوكايا ١٠٦، ١٧٨
فيروس ١١١
فيليتيون ١٢٨
فينيقية ٣٢، ٤٤، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٧٩
فينيقيون ١١٢، ١١٦، ١٠٤

قربان ١٣٥، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٢
قط ٦٦، ٦٧
قمبيز ١
قنوات ١٠٨، ١٥٨

كادميون ٤٥، ٤٩
كاديتيس ١٤٩
كالاسيريس ١٦٤ — ١٦٨
كانوبى ١٥، ١٧، ١١٣، ١٧٩
كركاسوروس ١٥، ١٧، ٩٧
كيكى ٩٤

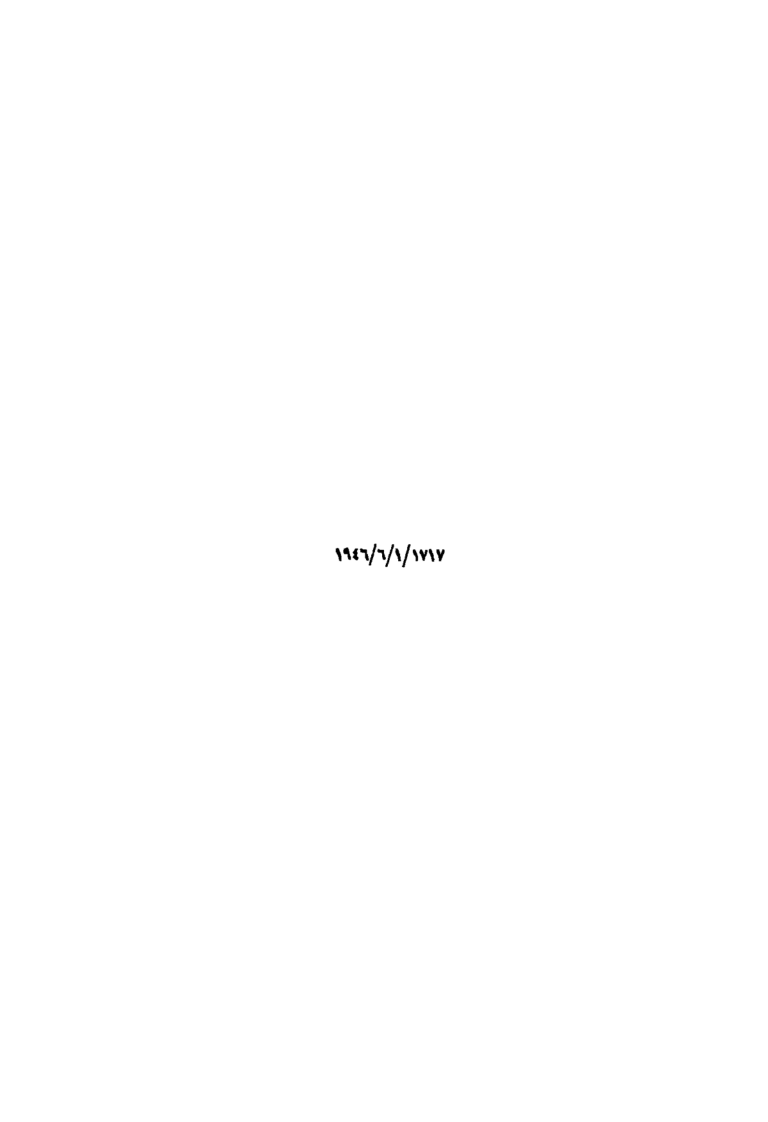
لا بيرنث ١٤٨
لا ديكى ١٨١
ليبيا ١٥ — ١٨، ٢٤ — ٢٦، ٥٤ — ٥٦، ٦٥، ٧٧، ٩١، ٩٩، ١٢٤، ١٥٠، ١٥٨، ١٦١
ليطو ٥٩، ٨٣، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦
لينوس ٧٩

ماجدولوس ١٥٩
مارية ١٨، ٣٠
ماكرونيون ١٠٤
مانيروس ٧٩
مایاندر ٣٩
مباريات ٩١
مرتزقه ١٥٤، ١٧٨
مروى ٢٩

مسله ١١١، ١٧٠
ملطية ٣٣، ١٥٩، ١٧٨
ممنون ١٠٦
منف ٣، ٨، ١٠، ١٢ — ١٤، ٩٧، ٩٩، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨، ١٧٥، ١٧٦
منقرع ١٢٩ — ١٣٣، ١٣٦
منديس ٤٢، ٤٦، ١٤٥
موفى ٢٨
مومفيس ١٣، ١٠١
موريس ٤، ٦٩، ١٤٨، ١٤٩
ميتيلينى ١٣٥
مينا ٤، ٩٩
مينيلاوس ١١٣، ١١٦، ١١٨، ١١٩
ميكفوريس ١٦٦
ميلامبوس ٤٩

ناثوس ١٦٥
نساموتيون ٣٢، ٣٣
نوقراطيس ٩٧، ١٣٥، ١٧٨ — ١٨٠
نيا پوليس ٩١
نيتوكريس ١٠٠
نيسا ١٤٦

نيقوس ١٥٢،١٥٨،١٥٩
نينوى ١٥٠
هاليكارناسوس ١٧٨
هرقل ٣٣،٤٢–٤٤،٨٣،١١٣
هرمس ٥١، ١٣٨، ١٤٥
هرموپوليس ٦٧
هليوس ٥٩،٧٣
هليوپوليس ٣،٧–٩،٥٩،٦٣،٧٣
هوميروس ٢٣،٥٣،١١٦،١١٧
هيرا ١٧٨
هيسيودوس ٥٣
هيفايستوس ٣، ٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١٢١، ١٣٦، ١٤١، ١٤٧، ١٥١،١٧٦
هيكاتيوس ١٤٣
هيكتور ١٢٠
هيلين ١١٢،١١٣،١١٥–١٢٠



١٩٤٦/٦/١/١٧١٧





الثمن ٢٠ مـ